سلسلة

غزوات الرسول الأعظم

صلى الله عليه وسلم

الدكتور شوقي أبو خليل



يوم الفرقان يوم التقى الجمعان



1999
إعمال العقل
مفتاح التقدم

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٣٠٠٤

الرقم الاصطلاحي للحلقة : ٠٣١, ٠٥٨٤

الرقم الدولي للسلسة: ISBN: 1-57547-102-7

الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-103-5

الرقم الموضوعي: ٢٧٠

الموضوع: السيرة النبوية

السلسلة: غزوات الرسول الأعظم

العنوان: بدر الكبرى

التأليف: الدكتور شوقي أبو خليل

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٢١٦ ص

قياس الصفحة: ١٤× ٢٠ سم

عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦

http://www.fikr.com/

E-mail: info @fikr.com

إعادة

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

ط١: ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم



بـدر الكبرى : يوم الفرقـان ـ يـوم التقى الجمعـان / شـوقي أبـو خليـل . ـ
دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٦ . ـ ٢١٦ ص : ؛ ٢٠ سم .
١ ـ ٩٥٦,٠٢ خ ل ي ب ٢ ـ ٢١٩,٥ خ ل ي ب
٣ ـ العنوان ٤ ـ أبو خليل

مكتبة الأسد

ع ـ ١٩٩٦/٦/٧١٣

مَا بَدَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حرباً قطّ ،
إذ كان حريصاً ألا يُراق دم إنساني
فهو نبيُّ المرحمة .
ولكن إذا كانت لا محالة واقعة كان رَجُلَهَا
الأول . . فهو نبيُّ الملحمة .
لقد كان عظيماً في رحمته بالناس ،
عظيماً في استعداده للحرب ، عظيماً في
خططه ، عظيماً في تحقيق النّصر واستثماره .

تصدير

☆ ما أراد النبي الكريم حرباً ، ولكن عندما كان يحين وقتها ، كان ﷺ رجلها ، وقائداً مثالياً منتصراً . قال علي رضي الله عنه : « لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، كنا إذا حمي البأس ولقينا القوم اتقينا برسول الله ﷺ » .

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسّلام على رسول الله ، وبعد ...

ذكرت في مقدّمة كتابي (الهجرة ، حدثٌ غيَّر مجرى التاريخ) ، أنه احتفالاً منا بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، سنقدّم كتباً عن غزوات المصطفى ﷺ ، أجزاء متمّمة لسلسلة (المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام) تحت عنوان (غزوات الرسول الأعظم) . وها نحن ذا نفي بوعدنا .

ونحن في هذه الغزوات نظهر جانباً واحداً من جوانب شخصية رسول الله ﷺ ، هو الجانب العسكري ، فن قيادة الجند إلى النصر ، مع العلم أن جوانب الإسلام كلها مجتمعة ، هي شخصية رسول الله ﷺ ، وهي جوانب تكمِّل بعضها بعضاً ، وتجعله ﷺ شخصيَّة مثالية رفيعة

المستوى ، من أين جئتها وطلبت العظمة أو الكمال وجدته . فرسول الله عظيم في كل شيء ، فهو :

عظيم في عبادته .. تورَّمت قدماه من العبادة ليكون عبداً شكوراً .

عظيم في داره .. يكنس ويعجن مع أهل بيته .

عظيم في صحبته .. وأنا عليَّ جَمْعُ الحطب .

عظيم في عفوه .. اذهبوا فأنتم الطلقاء .

عظيم في رفقه ورحمته .. مَنْ روَّع هذا الطائر بولده .

عظيم في تألُّفه للقلوب .. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

عظيم في صبره .. أنتم قليل يا عمر .

عظيم في تبليغه الإسلام .. منتهزاً المواسم كلها ، وفي الطائف : « إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أُبالي » .

عظيم في تطبيق شرع الله .. لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

عظيم في تواضعه .. أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد .

عظيم في وفائه .. من لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله .

عظيم لأنه ﷺ كان خلقه القرآن ، وفي القرآن الكريم من الأخلاق عظيمها .

وبهذه العظمة من كل جوانبها ، وحّد العرب ، وأوجد دولتهم وعظمتهم ، وحقّق فتوحاتهم .. بعد أن ألّف بين القلوب ، ووحّد العقيدة والفكر والمنهج .

محمد بن عبد الله عظيم في حروبه ، وفي إنقاذه لقومه وللإنسانية ..

فإن أنتج نوح عليه السلام خلال ألف عام من دعوته سبعين مؤمناً ..

وهُزِمَ موسى عليه السلام أمام فرعون ، وخرج هارباً بِمَن معه ..

ورُفِعَ عيسى عليه السلام إلى السَّماء وما تجاوزت دعوته فئة ممن حوله ..

فإن محمداً ﷺ - بعشرين سنة - وحّد جزيرة العرب ، وهيأ العرب لفتح الدنيا ، فتح رحمة وعدالة وإخاء وإنسانية ، بعد أن نقلهم من فُرْقة إلى وحدة ، ومن جهل إلى عِلْم ، ومن بغضاء وتنافر إلى محبّة وأُلفة .. بعد أن نقلهم من وثنية وأصنام إلى إيمان وإسلام . وأيٌّ إسلام هو ؟ ! ؟

إنه الإسلام الذي يجمع ولا يفرّق ..

الإسلام الذي يجعل العلوم في كل صنوفها فَرْضاً ..

الإسلام الذي ينهض بالأُمّة في كل ميادينها .. اقتصادياً وسياسياً

وعسكرياً وفكرياً وتربوياً وخُلُقياً ..

لم يجعل الإسلام العرب أُمَّة متعلِّمة في عشرين سنة فحسب ، بل جعلها أُمَّة مُعَلِّمة . لم يجعلها أُمَّة محرَّرة ، بل جعلها أُمة مُحَرِّرة . لم يجعلها أمة سعيدة ، بل جعلها أمة مُسْعِدة . لم يجعلها أُمَّة مُوَحَّدة ، بل جعلها أُمَّة مُوَحِّدة .. الصيني أخو السنغالي ، والنيجيري أخو التركي ، والباكستاني أخو الكردي .. وكلهم أُخوة لعرب أشقاء ، حملوا راية الإسلام إليهم ، فللعرب القيادة .. قيادة التعليم ، لا قيادة التَّعالي ، قيادة الإرشاد والإدارة ، لا قيادة العنصرية المستعمِرَة .. فأينما وصل العرب يحملون مبادئ الإسلام ، نبتت رياحين العلم ، وزهور الأُلفة ، وورود الإنسانية .

والعروبة ما زالت إلى يومنا هذا مقدَّسة في البلاد الإسلامية .. فعبادات الشعوب الإسلامية كلها بلغة العرب .

فإذا كانت العروبة جسداً ، فالإسلام روحها .
وإن كانت العروبة عيناً ، فالإسلام نورها .
وإن كانت العروبة صرحاً ، فالإسلام مهندسها .
وإن كانت العروبة مصنعاً ، فالإسلام طاقتها .
وإن كانت العروبة جنسية ، فالإسلام عقيدتها .

فإن تبخس العروبة حق الإسلام ، فالإسلام لم يبخسها حقها :

﴿ إنه لذكر لك ولقومك ﴾ .. أي شرف لك ولقومك العرب ، قالها الإسلام وهو في عهده الأول ، في الحجاز .. فجعلها عروبة مباركة مؤمنة ، هي عروبة أبي بكر وعمر وعلي ، وسعد وخالد والغافقي ، لاعروبة أبي جهل وأبي لهب وعبد الله بن أُبَي بن سلول .

تغنّى العربي قبل الإسلام بقبيلته ، وهذه أشعار العرب في عكاظ والمربد وذي مجاز .. تغنى العربي بكعب ونُمَير وثقيف وقريش وأوس وخزرج وربيعة ومضر .. ورسول الله تغنّى بأُمة العرب الواحدة ، التي توّجها فكر الإسلام الحنيف ومنهجه .

أنما رقّى ﷺ العرب فجعل من أسراهم في بدر أساتذة يعلمون الأطفال في المدينة المنوّرة ؛ ماأذلهم وهم أسرى ، فجعلهم معلّمين للأُمة ، فهو ﷺ في بناء مستمر ، ولاوقت لضياع جهد حتى ولو كان جهد مشرك وثني .

وأية عظمة في محمد بن عبد الله عندما جعل الأودية والبوادي والروابي مدارس إلزامية مجانية : « مابال أقوام لايتعلمون ولايتفقهون .. ؟! » « ليس مني إلا عالم أو متعلّم » .

وعظمته ﷺ ليست عظمة المصلح .. فالمصلح لايحمل نبوءة المستقبل الصادقة ، إنه رسول الله ، والقرآن شرع الله الذي أنزله على

قلبه ، وليس رؤى ولامنامات ، فالرؤى لاتقرر تشريعاً متكاملاً وإعجازاً علمياً عظيماً ، مع نظرةٍ شمولية منسجمة للكون والإنسان والحياة .

وفي حروبه ﷺ عظمة .. مع أنه ماأرادها - كما سنرى خلال الغزوات - بدءاً ببدر وانتهاء بتبوك ، لقد كانت ردّاً طبيعياً على عدوان المشركين الوثنيين ، فهو أحرص الخَلْق على دماء الخَلْق ، حتى ولو كانت مشركة وثنية ، لعلّ الله يبعث من أصلاب هؤلاء من يوحد الله .

ولكن عندما كان يحين وقت الحرب ، كان ﷺ رجلها ، وقائداً مثالياً منتصراً ، قال علي رضي الله عنه : (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، كنا إذا حمي البأس ولقينا القوم اتقينا برسول الله ﷺ) .

فالمجد كله ، والفخر كله ، العزّة كلها لأُمتنا مصدره محمد بن عبد الله ، فهل أعطيناه حقه في الدراسة والتحليل والتعظيم ؟ محمد ﷺ وقد تمثّل الإسلام فيه ، حارب ، ولكن حرباً شريفة نظيفة ، عادى ولكن بقانون ، لاغدر ولاعدوان ، لاتمثيل ولاتحريق .. حرب محارب لمحارب ، جندي مع جندي .. أما غير المحارب .. فلاعدوان ، ولاإرهاق ، ولاتنكيل ولااعتداء ..

☆ ☆ ☆

مـاأراد الإسـلام حربـاً تــذل الشعـوب ، بـل قتــال ينهي شرور الطواغيت وآثامهم وضررهم : ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّـةَ الكُفْرِ إِنَّهُم لاأَيْمَـانَ لَهُم لَعَلَّهُم يَنْتَهُون ﴾[1] ، قتـال حتى ينتهوا عن جهلهم وجـاهليتهم وتخلُّفهم وتجبرهم ..

لم يكن قتـال تسلُّط أو استغلال ، بـل كان قتـالاً من أجـل كلمـة التوحيـد ، ولرفعـة الإنسـان ورقيّـه وطمأنينتـه .. والفتـح الحقيقي في عرف الإسلام فتح القلوب ، لافتح الحصون والقلاع ، لأن فتح القلوب هو الفتح الحقيقي الخالد الباقي .. والتاريخ خير شاهد ..

أين فتوح الرومان بعد ألف سنة ؟!

أين فتوح اليونان بعد ألف سنة ؟!

أين آثار هانيبال بعد مائة سنة من فتوحاته ؟!

أين جنكيز خان ؟ أين هولاكو بعد سنوات من فتوحاتها ؟!

وهذا هو الإسلام بعد ألف وأربعمائة سنـة من فتوحـاتـه ، بـاق في النفوس ، وفي كل البقـاع التي وصلهـا ، وهتـاف : « لاإلـه إلا الله محمـد رسـول الله » يُـدَوّي في المنـائر خمس مرات ، من جـزر فيجي في أقصى الشرق من أستراليـــا ، إلى ســـان فرانسيسكـــو في أقصى الغرب ، ومن جوهانسبورغ في أقصى الجنوب حتى سيبريا في أقصى الشمال .

---

(١) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ١٢ .

بدأ النبي ﷺ دعوته في مكة المكرمة بالكلمة الطيبة ، والفكرة تغرس في العقول والنفوس ، وعرض نفسه في موسم الحج على القبائل ، فاستجاب نفر من الأوس والخزرج أهل يثرب . وبقي يدعو في مكة ثلاث عشرة سنة محتملاً الأذى والظلم والألم والاضطهاد والتعذيب من قريش ، ثم هاجر إلى المدينة المنوَّرة ، بعد أن أذاقته قريش ـ ومن معه من المسلمين الأولين ـ كل صنوف الأذى . وصبَّر الله نبيَّه : ﴿ واصبر كما صبر أُولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم ﴾[1] .

وصادرت قريش أموال المسلمين ، مضيفة ظلماً جديداً إلى مظالمها السابقة ، وفي المدينة أعلن ﷺ حرباً اقتصادية بدأتها قريش منذ حصارها للمسلمين في شعب أبي طالب ، ليرغمها على الاعتراف بحقوق المسلمين في مكة ، وبحقه في نشر دعوته .

لقد كانت آيات الله تأمر بالصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، على الرغم من اضطهاد قريش للمسلمين ، حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم من بلادهم .. فلما عتت قريش ، وردّت ماأراده الله لها من الكرامة ، وكذّبت نبيَّه ، وعذّبت من عبده ووحَّده ، وصدّق نبيَّه ، واعتصم بدينه .. أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال ،

---

(١) سورة الأحقاف (وهي مكيّة) ، الآية الكريمة : ٣٥ .

والانتصار ممن ظلمهم وبغي عليهم : ﴿ أُذن للذين يُقاتَلون بـأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديـارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾[1] .

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقـاتلونكم ولاتعتـدوا إن الله لايحب المعتــدين ، واقتلـوهم حيث ثقفتمـوهم وأخرِجـوهم من حيث أخرجـوكم والفتنة أشد من القتل .. ﴾[2] .

لقـد شرع القتـال دفـاعـاً عن النفس ، ومـاإلى ذلــك من العرض والمـال .. فمـوقف النبي من قريش مـوقف الـدفـاع أمـام من نــاصبـوه العداء ، وحاولوا القضاء على رسالته ، ولم يرعوا فيه إلاًّ ولاذمة .

والنبي ﷺ محـق بعــد الهجرة في إجـلاء اليهـود من بني قينقــاع لمؤامراتهم وتطاولهم بعد غزوة بدر الكبرى .

ومحـق في إجـلاء بني النضير بعـد أُحـد لتـآمرهم مـع قريش ضــد المسلمين .

ومحق في حكمه ببني قريظة بعد الخندق لنكثهم عهودهم مع المسلمين وهم في أشد سـاعـات الحرج ، وسـاعـدوا قريشـاً وحرضوهـا على قتـال المسلمين .

---

(١) سورة الحج ، الآية الكريمة : ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ١٩٠ ـ ١٩٣ .

وكانت (مؤتة) سرية تأديبية للحرث بن أبي شمر الغسَّاني الذي قتل شجاع بن وهب الأسدي رسولَ رسولِ الله ، وليس هكذا تعامل الرسل والوفود ، ففي عمل ابن أبي شمر خرق للعرف الدولي .

وسار ﷺ لرد جموع الروم التي أرادت غزو المسلمين في عقر دارهم ... فمسير النبي إلى تبوك إذن له أسبابه المشروعة[1] .

وصفوة القول .. لقد خاض النبي ﷺ حروباً عادلة ، بعد أن وضع السلم أساساً لمعاملة قريش ومن معها ، والحرب للدفاع ، وكان الحفاظ على الأرواح أمله ، وتأديب الظالم المغرور بأقل الخسائر والدماء هدفه ، والتسامح منطبعاً في ذاته وهو غايته .

ويستنتج مما سبق أن الإسلام رفض شعار (وَيْلٌ للمغلوب من الغالب) ... ويكفي الإسلام في هذا المجال شرفاً ، أن القانون الدولي اليوم ، والصادر عن الأُمم المتحدة لم يرقَ إلى مستوى تعاليمه الرفيع ، وإن اقتبس من هذه التعاليم بعض مبادئه .

☆ ☆ ☆

وورد على خاطري وأنا أُعد هذه الغزوات بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري سؤال ، هو التالي :

---

(١) سيرد تفصيل ذلك في كتب تالية .

منذ هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة ، وحتى وفاته ، إحدى عشرة سنة من الزمان ، حقّق خلالها ﷺ وحدة العرب ، وأدّى الأمانة ، وبلَّغ الرسالة ، فكم عدد القتلى خلال هذه السنوات ، خلال حروبه وغزواته وسراياه كلها ؟!؟

الجواب الناتج ، رقم مذهل حقّاً !!

في السرايا والغزوات : الأبواء ، سيف البحر ، بواط ، العشيرة ، بدر الأُولى ، لاقتلى ولاشهداء ، وفي سريّة عبد الله بن جحش أول قتيل (عمرو بن الحضرمي) .

وفي بدر الكبرى عدد القتلى : سبعون مشركاً ، وأربعة عشر مسلماً . وبعد بدر مباشرة : اثنان (النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط) .

وفي غزوة السَّويق : قتيل واحد فقط . وفي غزوة بني سليم : ثلاثة من الأنصار . وفي غزوة ذي أمر « في نجد » : لاأحد . وفي إجلاء بني قينقاع : اثنان فقط ، وفي سرية زيد بن حارثة : لاأحد . ثم قُتِلَ كعب بن الأشرف ، وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق (اثنان) ، ثم كعب بن يهوذا (رجل واحد) .

وفي غزوة أُحُد : سبعون شهيداً ، واثنان وعشرون مشركاً ، وفي

حمراء الأسد : رجل واحد (أبو عزّة الشاعر) ، ويوم الرجيع : ستة . وفي بئر معونة : استشهد سبعون مسلماً غدراً ، ثم قتل ثلاثة ، اثنان منهما قتلهما عمرو بن أمية خطأ ، فأدّى رسول الله ﷺ ديتيهما . وفي غزوة بني النضير : رجل واحد . وفي ذات الرقاع : استشهد أنصاري واحد رُمي بثلاثة أسهم وهو يحرس ليلاً . وفي بدر الآخرة : لاقتلى . وفي غزوة الخندق : ثلاثة من المشركين ، وستة من المسلمين . وفي بني قريظة : اثنان من المسلمين ، وستمائة أو سبعمائة من اليهود ، ثم قُتِل خالد بن سفيان الهذلي . وفي ذي قرد : خمسة قتلى ، وفي بني المصطلق : اثنان فقط ، وبعد الحديبية : واحد فقط ، وفي خيبر : عشرون على الأكثر .

وفي السرايا التي تلت : لاقتلى حتى سرية كعب بن عمير إلى بني قضاعة : أربعة عشر قتيلاً ، وفي مؤتة : اثنا عشر شهيداً ، وأثناء فتح مكة : اثنا عشر قتيلاً أيضاً . وفي هوازن وحنين : أربعة من المسلمين ، وخمسة وسبعون من ثقيف ، وفي حصار الطائف : اثنا عشر شهيداً من المسلمين ، وفي تبوك شهيد واحد فقط .

٤٤٠ : رجلاً من العرب (مسلمين ومشركين) ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، حسب الروايات والمراجع ، عشرات منهم قُتِلوا غدراً أو خطأ ، يضاف إليهم :

٦٠٠ ـ ٧٠٠ : من اليهود قُتِلوا بعد أن اختاروا راضين سَعد بنَ معاذ ليحكم في نقضهم مواثيقهم مع رسول الله ، وفي خيانتهم في حق المسلمين .

وبذلك . . حقَّق رسول الله ﷺ أعظم النتائج بأقل الخسائر على مدى أحد عشر عاماً . ونظرة سريعة إلى حروب وقعت قبل صدر الإسلام وبعده ، تظهر رحمة هذه الحروب ، وضآلة خسائرها .

ففي معركة واحدة ، معركة رؤوس الكلاب قتل ٨٠٠٠ مكدوني مع ٥٠٠٠ أسير ، وذلك عام ١٩٧ ق . م . وفي معركة الماراتون (أيلول ٤٩٠ ق . م) : ٧٠٠٠ قتيل فارسي . وقتل التتار في بغداد وحدها مليوناً ونصف المليون من البشر الآمنين . ولن نذكر هنا ما فعله نابليون في يافا مثلاً عندما قتل ٤٠٠٠ أسير بعد أن أعطاهم الأَمان ، ولا خسائر الحربين العالميتين ، ففي الحرب العالمية الأولى وحدها قُتِل ثمانية ملايين ونصف المليون ، أعمارهم من عشرين إلى أربعين سنة ، كيلا يقال : إن أداة الحرب تطورت ، فأضحت أكثر فتكاً ، وأعظم قتلاً ، مع ازدياد عدد السكان الكبير .

ماأعظمك يارسول الله ، فكما كنت حريصاً على سلامة عقيدة الناس ، وسلامة عقولهم وقلوبهم وممتلكاتهم . . . كنت الحريص على أرواحهم ألاّ تزهق . . . فأنت نبي المرحمة ، حققت وحدة العقيدة ،

ووحدة القلوب ، ووحدة الصف . . في أقصر مدّة ، وفي أقل خسائر ممكنة . وصدق الله القائل في محكم التنزيل : ﴿ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

وقبل أن أُنهي هذا التصدير أقول :

اعتمدت لغزوات رسول الله ﷺ ، بالإضافة إلى كتب السيرة والتاريخ المعتمدة ، والتي يمكن التعرُّف عليها في الحواشي ، بعض المخطوطات ، والتي سنذكرها في حينها . ولكن مخطوط : (الاكتفاء من مغازي سيدنا رسول الله ﷺ ، ومغازي السادة الثلاثة الخلفاء أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين) ، كان بصورة رئيسة المرجع الأهم .

المخطوط : نسخة دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ، تحت رقم : ٤٨١٠ ، ورقم : ٤٨١١ . الجزء الأول (رقم : ٤٨١٠) ، يقع في مائة وسبع وتسعين ورقة مزدوجة ، والجزء الثاني (رقم : ٤٨١١) يقع في مائة وست وخمسين ورقة مزدوجة ، وأوراق الجزأين قياس : ١٧ × ٢٦ سم .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية الكريمة : ١٠٧ .

حقَّق الأستاذ مصطفى عبد الواحد قسماً من المخطوط[1] .

وقال الأستاذ مصطفى عبد الواحد في مقدمة تحقيق الصفحات الأولى من المخطوط[2] :

أُصول الكتاب أربع نسخ خطيَّة :

١ ـ نسخة في مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية ، تحمل رقم : ٢٠٧٤ (تاريخ) ، كتبت في سنة : ٨٦٢ هـ .

٢ ـ نسخة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، تحمل رقم : ١٥٥٧ (تاريخ) ، كتبت في سنة : ١٠٨٩ هـ .

٣ ـ نسخة بدار الكتب المصرية ، تحمل رقم : ٢٦٥٣ (تاريخ) ، كتبت في سنة : ١١٧١ هـ .

٤ ـ نسخة بدار الكتب المصرية ، تحمل رقم : ٥٠٣٦ (تاريخ) ، وهي نسخة غير كاملة ، وقفت عند كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ، كتبت في سنة : ١٠٢٨ هـ .

---

(١) نشرته عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة الهلال ببيروت ، وماحُقِّق موجود في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق تحت رقم : ب / ٢٧٥٧ (الاكتفاء) .

(٢) ويقول الأستاذ عبد الواحد : طبع من هذا الكتاب (الاكتفاء) جزء يسير في الجزائر سنة ١٩٣١ م ، بإشراف الأستاذ هنري ماسه ، الأستاذ بكلية الآداب بالجزائر ، وهو مليء بالتحريف والتصحيف .

ولم يُشِر الأستاذ عبد الواحد إلى نسخة دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق ، مع أنها أقدم النسخ الموجودة في المكتبات ، ومن هنا تأتي أهميتها ، فهي كتبت في سنة : ٨٥٧ هـ[١] .

المؤلفُ : سليمان بن موسى بن سالم بن حسَّان بن سليمان بن أحمد بن عبد السَّلام الحميري ، ينتهي نسبه إلى ذي الكلاع ، ويكنى أبا الربيع[٢] . ولد سنة ٥٦٥ هـ في بلنسية بالأندلس ، وقيل : مولده بظاهر مرسية في مستهل رمضان ٥٦٥ هـ ، وسيق إلى بلنسية وهو ابن عامين ، ونشأ بها .

تجوَّل في الأندلس ، وسمع من علمائها الكبار ، وانتفع من شيوخها ، خاصة وأنه يحمل ذهناً حاداً ، وذكاء متَّقداً ، فتميَّز بحفظ الحديث ، وبذكر حياة الرجال ، وحفظه لأسمائهم ، وارتقى منزلة عالية في صناعة الحديث ، فكان بصيراً به ، عارفاً بالجرح والتعديل ، لانظير له في الإتقان والضبط ، وعرف بالعدالة والجلالة ، فكانت إليه

---

(١) راجع فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) الجزء الثاني ، وضعه الأستاذ خالد الريان سنة ١٩٧٣ م ، صفحة : ٦١٤ .

(٢) ترجمته في : تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ٢٠٩ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٣ / ٥٦ ، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ١٢٥ ، نفح الطيب ٢ / ٥٠٢ ، ٩٥٩ ، ٧٦٨ . والإحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد ٢ / ٢٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٤٢٦ . والأعلام ، ٣ / ١٩٩ .

الرحلة في عصره للأخذ عنه ، والسَّماع منه ، فقيل عنه : (بقيـة الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس الشرقي) .

وقـال عنـه ابن الخطيب : (كان رَبّـانَ من الأَدب ، كاتبـاً بليغـاً خطيباً بجامع بلنسية) ، وتميَّز بحسن السرد والمساق لمـا يقول ، ممـا يـدل على ملكته الأدبية ، مع حسٍ مرهف ، ووجدان رقيق .

وقد أَهَّلته هـذه الملكـة الأدبيـة إلى أن يكون المتكلِّم عن الملوك في مجالسهم ، والمنبئ عنهم لما يريدونـه على المنـابر وفي المحـافل ، ممـا جعل الكلاعي في مرتبة الرئاسة في الحـديث وفي الكتـابـة في عصره ، كما قـال النباهي .

لقـد كان الكـلاعي بحـق ، نمطـاً فريـداً في عصره ، فهـو حـافـظ محـدِّث ، وأديب متقن ، وشـاعر رقيق ، أنيق الشـارة ، حسن الـزي . والأعجب من ذلك أنه كان فارسـاً مجـاهـداً يشهـد الغزوات ، ويبـاشر القتـال بنفسـه ، ويُبْلي البـلاء الحسن . ففي عصره شهـدت الأنـدلس معارك بين المسلمين وبين الإسبان ، فكان أبو الربيع يخرج مع المجاهدين وهو شيخ كبير ليقاتل في سبيل الله ، عَلّه يحوز شرف الشهـادة في سبيل الله . وتحقَّق له هذا الأَمل في آخر غزوة شهدهـا ، وكان في السبعين من عمره ، وهي موقعة تسمى (أَنيشـة) ، فلم يزل متقـدمـاً أَمـام الصفوف زحفـاً إلى الكفـار ، مقبلاً على العـدو ، ينـادي المنهـزمين : أَعن الجنـة

تفرُّون ! حتى قتل صابراً محتسباً غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذي الحجة ٦٣٤ هـ[1] ، والراية بيده .

كتُبُهُ : مصباح الظُّلَم من حديث رسول الله ﷺ ، الأربعون حديثاً عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة في أربعين معنى ، السَّباعيات المخرجة من أحاديث أبي علي الصدفي ، أحاديث المصاحَفة ، حِلْية الأمالي في الموافقات من العوالي ، كتاب حافل السابقين وحلية الصادقين المصدَّقين في ذكر الصحابة الأكرمين ومن في عدادهم بإدراك العهد الكريم من أكابر التابعين ، الإعلام بأخبار البخاري الإمام وما بلغت روايته عنه من الأغفال والأعلام ، المعجم في من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة رضي الله عنهم ، تحية الروّاد وتحفة الورّاد في العَوَالي البدلية الإسناد ، والمسلسلات من الأحاديث والآثار والإنشادات .

ومن كتبه في فنون الأدب : نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال ، الجهد النصيح وخط المنيح من معارضة المعرب خطبة الفصيح ، الامتثال لمثال المبهج في ابتداع الحكم واختراع الأمثال ، نتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم ، مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل على طريقة أبي العلاء المعري في مَلْقى السبيل ، الصحف

---

(١) الأعلام ، جـ ٣ ص ١٩٩ و (أنيشة) على ثلاثة فراسخ من بلنسية .

المنشّرة في القطع المعشرة ، ديوان رسائله ، ديوان شعره ، جني الرطب في سَنِيّ الخطب .

وهذه الكتب نقرأ أسماءها في الكتب التي ترجمت له ولاندري مافعل بها الزمان ، فليس منها شيء مطبوع ، ولانهتدي إلى مكانها بين المخطوطات[1] .

وكتابه (الاكتفاء في مغازي سيدنا رسول الله ﷺ ، ومغازي الثلاثة الخلفاء . .)[2] كتاب سيرة ، كتبه محدث فقيه أديب ، اعتمد فيه على ابن إسحق ، وكتاب موسى بن عقبة ، ونقل جملاً من كتاب (المبعث) للواقدي ، واختار نفائس من كتاب أبي عبد الله الزبير بن بكّار في أنساب قريش ، ومن التاريخ الكبير لأبي بكر بن أبي خيثمة . . مع كتب أُخرى ليتم الحديث أو يستكمل الفائدة .

لقد أحاط أبو الربيع بما خلّفه السابقون من تراث في المغازي والسِّير ، وتأنّى في الاختيار والترتيب ، فاستكمل النقص وجمع المزايا .

---

(١) وهنا يقول الأستاذ عبد الواحد : (إننا نهيب بحماة التراث الإسلامي أن يبحثوا عن هذه الكنوز المفقودة ، فعلّها متوارية في مكتبات الغرب ومتاحفه ، فإنها أمانة تركها لنا الأسلاف ، ولابد أن نصونها لنسلمها إلى الأخلاف) . ولتصل أيدينا إلى تراثنا المفقود ، ولتتصل حلقات الفكر الإسلامي ويكتمل صرحه الذي بناه أئمتنا عبر القرون .

(٢) ولم يورد أبو الربيع شيئاً عن الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب لأنّه رضي الله عنه شُغِل بمقاومة الفتن ، ومجابهة المتمردين عن الفتوح والغزو .

وقد تجلت ملكة الكلاعي في التأليف ، وذوقه الرقيق في الترتيب في منهجه الذي التزمه في العرض والتنسيق ، فهو لا يلتزم نسبة كل قول إلى صاحبه ، ولاذكر كل مرجع فيما ينقله ، بل يوائم في أغلب الأحيان بين الأقوال ليؤلف منها حديثاً متسقاً ، وقصة مرتبة مادامت تسير في اتجاه واحد (ليكون المساق أبْين ، والاتساق أحسن)[1] .

وهو لا يتدخل برأيه إلا عندما تختلف الآراء ليفصل بينها ، ويرفع الإشكال عنها ، وربما فصل بين بعض الأحاديث المتشابهة لضرورة موضعها ، أو حلاوة موقعها ، حسبما تهدي إليه حاسته الجمالية .

وبهذا نرى في كتاب أبي الربيع الكلاعي مزيتين واضحتين تجعلان له أصالة في موضوعه الذي يَعْرض له[2] :

الأولى : الجمع والإحاطة وحسن النظر فيما سلف من تراث ، والنقل عن كتب لم تصل إلى أيدينا كمغازي موسى بن عقبة . والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة ، والمبعث للواقدي ، وبهذا حفظ لنا (الاكتفاء)

---

(١) الاكتفاء ، ص ٥ .

(٢) لماعرضناه عن المخطوط ومؤلفه أبي الربيع ، راجع مقدمة الأستاذ مصطفى عبد الواحد التي أشرنا إليها قبلاً للتوسع والاستزادة ، فهي مقدمة طويلة وافية ، تظهر قيمة المخطوط التاريخية ، ومكانة أبي الربيع العلمية .

جانباً هاماً من تراثنا ، وأغنانا عن النظر فيما سواه من كتب المغازي والسِّير .

والثانية : أنه جمع بين مغازي رسول الله ﷺ ومغازي خلفائه الثلاثة الأُوَل ، وهم الذين تمت أعظم الفتوحات الإسلامية في عصرهم الزاهر في كتاب واحد ، بحيث نرى امتداد جهاد الرسول الكريم في جهاد خلفائه وأصحابه ، فتتمثل حركة المد الإسلامي على حقيقتها ، ولا تقطع حلقات هي في حقيقتها متصلة متلاحمة .

وكتاب (الاكتفاء) بهذا الاعتبار عمل جديد بين كتب المغازي ، تتضح فيه حاسة دقيقة في الترتيب ، ويشده نظام واحد ، فهو ليس نقلاً أو حشداً للأخبار ، بل هو بناء جديد كان لابدّ منه لتتم مرحلة النضج في كتب المغازي ، وتكتمل الحلقات في هذه الصورة الجميلة التي أرادها أبو الربيع لكتابه الذي تجنب فيه الإسناد والتكرار والحشو ، وبالغ في الدقة والإحاطة .

☆ ☆ ☆

وهذا التصدير كان لابد منه ، لنعرِّف بقيمة عملنا هذا ، علماً أن القارئ سيلمس بوضوح رأينا واضحاً في مجريات الأُمور ، تلميحاً حيناً ، وتصريحاً حيناً آخر عند المواقف الهامة ، وعندما تفرض بعض

التساؤلات نفسها سنجري مناقشات وتحليلات تفي هذه الغزوات جوانب من حقها عند عرضها .

فإلى المادة التاريخية ، على بركة الله ، فهو من وراء القصد .

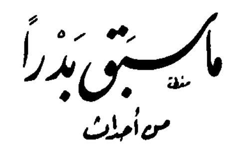
دمشق الشام : ٢٠ ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ
الموافق : ١٤ شباط « فبراير » ١٩٨٢ م .

شوقي أبو خليل

دمشق - سورية

ص . ب : ٦٢٢٢

Shawki@ Fikr.com



☆ ﴿ وَلاَ يَزالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دينِكُم إنِ استَطَاعُوا ﴾ .

[البقرة : ٢١٧]

هاجر رسول الله ﷺ ، وهاجر المسلمون ، تاركين أموالهم وأملاكهم بمكة . وشكل فقراء المهاجرين في المدينة (أَهْلَ الصُّفَّة)(١) ، لا منازل ولا مال ولا أهل ، أربعمائة رجل يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه ويتعلمون القرآن .. وكان ﷺ إذا تعشَّى يفرقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة منهم معه ﷺ .

عن ابن عباس : وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصفة ، فرأى فقرهم وجهدهم ، فطيَّب قلوبهم ، فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة ،

(١) قال ابن سعد في طبقاته الكبرى ، جـ ١ ص ٢٥٥ : (كان أهل الصُّفَّة ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ ، لا منازل لهم ، فكانوا ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلّون فيه ما لهم مأوى غيره ، فكان رسول الله ﷺ يدعوهم إليه بالليل إذا تعشَّى فيفرّقهم على أصحابه ، وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله ﷺ ، حتى جاء الله تعالى بالغنى) . وقال أبو هريرة : (رأيتُ ثلاثين رجلاً من أهلِ الصُّفَّة يصلون خلف رسول الله ﷺ ليس عليهم أردية) وقال واثلة بن الأسقع : (رأيتُ ثلاثين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يصلُّون خلف رسول الله ﷺ في الأُزر ، أنا منهم) .

فمن لقيني من أُمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفاقي » .

من هؤلاء .. كانت السرايا الأولى خارج المدينة المنورة ، فعهد الأَنصار حماية النبي ﷺ في المدينة المنورة .

وأهل الصفة هؤلاء .. صادرت قريش دورهم في مكة ، ونهبت محتوياتها وباعتها ، وهذا ظُلم يضاف إلى ظلمهم في مكة قبل الهجرة .

لما سبق .. بدأ النبي ﷺ حرباً اقتصادية ضد قريش ، وهي حرب بدأتها قريش في شعب أبي طالب ، شملت أيضاً الناحية الاجتماعية ؛ فلا زواج ولا تزويج .

وخصَّ النبي في حربه هذه قريشاً ، وليست قبيلة أُخرى « هذه عير قريش » بالذات ، وليست عير أية قبيلة أُخرى ، وما أكثرها من قبائل تسكن الحجاز وتهامة ونجد ..

والحرب معلنة بين المسلمين وقريش ، وقريش تعلم ذلك(١) ..

رأى أبو جهل سعد بن معاذ وهو يطوف بمكة ، فقال : (ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصبأة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ،

---

(١) فهي التي أهدرت دم النبي ﷺ عند الهجرة ، فأوجدت بذلك ظروفاً حربية ضد المسلمين المهاجرين .

أمـا والله لولا أنـك مـع أبي صفـوان ـ أُميـة بن خلف ـ مـا رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه ، طريقك على المدينة) . فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد : دعنا عنك يا أُمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنهم قاتلوك » ، قال : بمكة ؟ قال : لاأدري ، ففزع لذلك أُمية فزعاً شديداً . فلما رجع إلى أهله قال : يا أُم صفوان ، ألم تري ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ ! قال : لاأدري ، فقال أُمية : والله لا أخرج من مكة ، قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب[1] .

فبدء الاشتباكات المسلحة بين المسلمين والمشركين أمر طبيعي بعد تمايز المجتمعين ، لقد كانت الهجرة عملية فرز دقيق ، مجتمع مؤمن مسلم تربط بين أفراده عقيدة التوحيد ، ومجتمع مشرك وثني يعتمد على العصبية القبلية .

وعند بدء الاشتباكات لم تجد قريش مفاجأة ، فالأمر طبيعي ، فلم تنكره ، ولم تنكره القبائل كلها ، لأنها تدري بما فعلت بالمسلمين من اضطهاد وتعذيب ، ومصادرة ومطاردة .

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢١ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٥٨ .

وكانت أول غـزوة غـزاهــا ﷺ (غـزوة ودان) ، وهي (غـزوة الأبـواء) أيضــاً . حيث بلــغ ﷺ ودان يريــد قريشــاً وبني ضمرة ، فوادعتـه فيهـا بنـو ضمرة ، وادعـه سيـدهم مَخشي بن عمرو الضمري . ثم رجع ﷺ ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية صفر ، وصـدراً من شهر ربيع الأول[1] .

وبعث رسـول الله ﷺ في مقـامـه ذلـك بـالمـدينــة عبيــدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين ـ أو ثمـانين ـ راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ مـاء بالحجاز ، بأسفل ثنية المرة ، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقـاص قـد رمى يومئـذ بسهم . فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام ، وكانت راية عبيدة بن الحارث أول رايـة عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين[2] .

وبعث ﷺ أيضاً حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحيـة العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، وليس فيهم من الأنصار أحد ،

---

(١) كانت في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه ﷺ المدينـة ، واستعمل على المدينـة سعد بن عبادة ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٥ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٧٤ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٠٤ ، البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٣ ص ٢٤٣ ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ٧ .

فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِي بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للطرفين ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال[1] .

ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، حتى بلغ بُوَاط[2] من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

ثم غزا ﷺ قريشاً ، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وسُمِّيت هذه الغزوة بغزوة العُشَيْرَة[3] ، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وبعث ﷺ سعد بن أبي وقاص في سرية قوامها ثمانية من

---

(١) وفي رأي : أن راية حمزة هذه أول راية عقدها ﷺ ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فاشتبه ذلك على الناس ، وفي (الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٥ / ب) : وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام .

(٢) بواط : جبلان فرعان لأصل واحد ، أحدهما : جلسى ، والآخر : غورى ، وفي الجلسى بنو دينار ، ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان .

(٣) العُشَيْرَة : قرب يَنْبُع ، (وهي لبني مُدْلِج بناحية ينبع ، وبين ينبع والمدينة تسعة بُرُد) ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ١٠ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٦ / ا .

المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرَّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

ولم يقم ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر ، حتى أغار كُرْز بن جابر الفهري على سرح المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة . وبلغ ﷺ وادياً يقال له سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه . وهذه (غزوة بدر الأُولى) . ثم رجع رسول الله إلى المدينة ، فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً وشعبان[١] .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش[٢] بن رئاب الأسدي في رجب ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، وهم :

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٧٨ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٠٨ ، البداية والنهاية ، جـ ٢ ص ٢٤٦ .

(٢) أمُّه : أُميمة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وهاجر الهجرتين (إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة) ، وسيمر تفصيل قصة استشهاده في غزوة أُحد إن شاء الله ، [أُسد الغابة ، جـ ٣ ص ١٩٤] . والجحش في اللغة كما جاء في لسان العرب ، جـ ٦ ص ٢٧٠ : ولد الحمار الوحشي والأهلي ، وولد الظَّبْية ، والجحش أيضاً : الصبيّ ، والخدش . وفي القاموس المحيط ، جـ ٢ ص ٢٦٤ : الجحش : الخدش ، وولد الحمار ، ومهر الفرس ، والجفاء والغِلَظ والجهاد والظبي .

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، عكاشة بن محصن بن حرثان ، عتبة بن غزوان بن جابر ، سعد بن أبي وقاص ، عامر بن ربيعة ، واقد بن عبد الله بن عبد مناف ، خالد بن البكير ، سهيل بن بيضاء[1] .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصَّد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم » . فلما نظر عبد الله في الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؟ ! فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلّف عنه منهم أحد .

وفي الطريق إلى نخلة ، وفي موضع يقال له (بُحْران) ، أضل سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يعتقبانه[2] ، فتخلفا عليه في طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنَخْلة ،

---

(١) عيون الأثر ، جـ ١ ص ٢٢٧ . الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٦ / ب .

(٢) يركبه أحدهما مرة والآخر أخرى .

فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدَماً[1] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي[2] ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، فلما رأوه أَمنوا ، وقالوا : عُمَّار[3] ، لا بأس عليكم منهم .. وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب وقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم . فرمى واقد بن عبد الله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت منهم نوفل بن عبد الله . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

وفي المدينة المنورة قال رسول الله ﷺ : « ما أمرتكم بقتال في

---

(١) الأُدْمُ : ما يؤكل بالخبز أيّ شيء كان ، وفي الحديث : « سَيِّدُ إدامِ أهل الدنيا والآخرة اللحم » . لسان العرب ، جـ ١٢ ص ٨ .

(٢) واسم الحضرمي : عبد الله بن عبّاد ، وقيل : مالك بن عباد .

(٣) العمرة هنا : زيارة البيت الحرام .

الشهر الحرام »[1] . فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ الخُمْس . فسقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا . وقالت قريش مستغلة الحادثة إعلامياً : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فقال من رد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا في شعبان .

وقالت اليهود : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو : عمرت الحرب ، والحضرمي : حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله : وقدت الحرب ، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس في نقاش هذه الحادثة ، أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فيه كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عن سبيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ﴾ ، أي : إن كنتم قَتَلْتُم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ وَالفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ ﴾ أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل . ﴿ وَلاَ يَزالُونَ يُقاتلونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عن

(١) عيون الأثر ، جـ ١ ص ٢٢٨ . الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٦ / ب .

دينِكُم إنِ استَطَاعُوا ﴾[1] ، أي : ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ..

فلما نزل القرآن الكريم بهذا من الأمر ، وفرَّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الإحراج ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ـ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ـ فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم » . فقدم سعد وعتبة فأفداهما رسول الله ﷺ[2] .

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن الكريم ، طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين[3] ؟ فأنزل الله عز وجل فيها : ﴿ إنَّ الذينَ آمَنُوا والذينَ هَاجَرُوا وجاهدوا في سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيم ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢١٧ .

(٢) أسلم الحكم بن كيسان ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى استشهد يوم بئر معونة . أما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

(٣) الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٦ / ب .

(٤) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢١٨ .

وفي سرية عبد الله هذه ، غنم المسلمون أول غنيمة ، وعمرو بن الحضرمي أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

☆ ☆ ☆

الحرب الاقتصادية

«عير قريش»

☆ (بقدر ماكانت قريش تفكر في حماية تجارتها من المسلمين ، كان المسلمون يفكرون في قطع الطريق عليها)[1] .

قرر النبي ﷺ ـ لما سبق من أحداث ـ أن يمنع قريشاً من استخدام طريق (مكة ـ الشام) في تجارتها ، لأن هذا المنع سيحدث لها مسألة حيوية ، وأثراً سيئاً في حياتها الاقتصادية ، فهي التي كانت تعيش على تجارتها أولاً ، وعلى موسم الحج ثانياً .

وليست قريش أمة بحر ، تعتمد على سفن في نقل بضاعتها إلى الشام عن طريق خليج العقبة ، فسفينة الصحراء (الجمل) ، هو وسيلة تنقل قريش في تجارتها .

وإن فكرت بطريق جديدة ، وهي طريق : (نجد ـ العراق ـ الشام) ، فإنها لن تفلح في استخدامها لسببين :

أ ـ طول هذه الطريق .

---

(١) صور من حياة الرسول .

٢ ـ سيطرة المسلمين عليها أيضاً .

يقول الطبري : (وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى ، وقُتِل ابن الحضرمي في ناس بنخلة ، وأُسرت أسارى من قريش ، فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كَيْسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش ، وواقد حليف بني عديّ بن كعب في ناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة ، هاجت الحرب بين رسول الله ﷺ ، وبين قريش ، وأول من أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام)[١] .

ومرّ معنا قول أبي جهل لسعد بن معاذ وهو يطوف بالكعبة المشرَّفة : (ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصبأة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ـ أُمية بن خلف ـ مارجعت إلى أهلك سالماً) . فقال سعد مجيباً بصوت قوي مرتفع : (أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ماهو أشد عليك منه : طريقك على المدينة) .

سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ، وفيها ثلاثون

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢١ .

رجلاً من قريش أو أربعون ، منهم : مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص . فندب ﷺ المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها »[1] . فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار[2] ، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على عير قريش ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، واستأجر ضَمْضَمَ بن عَمرو الغِفَاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضَمْضَمُ بن عمرو إلى مكة مسرعاً[3] .



(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٢ ، السيرة الحلبية ، جـ ١ ص ١٥٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٥٦ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٢ ص ١٢ .

(٢) التحسس بالحاء : أن تسمع الأخبار بنفسك ، والتجسس بالجيم : هو أن تفحص عنها بغيرك ، وفي الحديث : « لاتجسسوا ، ولاتحسسوا » .

(٣) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٢ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٧ / ١ .

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب :

رأت عاتكة قبل دخول ضَمْضَم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : ياأخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني[١] ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ماأحدثك به . فقال لها : ومارأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا ياآل غُدَر[٢] لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونَه ، فبينما هم حوله مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن انفروا ياآل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت[٣] فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولادار من دورها إلا دخلت منها فِلْقة .

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيتِ فاكتميها ولاتذكريها

---

(١) أفظعتني : اشتدت عليّ .

(٢) غُدَر : بضم الغين وفتح الدال ، ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ، وأكثر مايستعمل هذا النداء في الشتم ، يقال : ياغدر ، وقال السهلي : هو بضم الغين والدال جمع غدور .
الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٧ [تعليق على هامش الصفحة جمعنا بينه وبين معاجم اللغة] .

(٣) ارفضت : تفرقت وتفتتت .

لأحد . ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ـ وكان صديقاً له ـ فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها(١) .

وقال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعودٌ يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : ياأبا الفضل ، إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا ، قال : فلما فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يابني عبد المطلب ، متى حَدَثتْ فيكم هذه النبيّة ؟!

العباس : وماذاك ؟

أبو جهل : الرؤيا التي رأت عاتكة .

العباس : ومارأت ؟!

أبو جهل : يابني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبّأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربَّص بكم هذه الثلاث ، فإن يكن ماقالت حقّاً فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب .

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٩ . البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٥٧ ، هامش السيرة الحلبية ، جـ ١ ص ٤٢٣ .

قال العباس : فوالله ماكان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكونَ رأتْ شيئاً ، ثم تفرقنا ، فلما أمسيتُ لم تبقَ امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غَيْرة لشيء مما سمعت ! فأجاب العباس : قد والله فعلتُ ، ماكان مني إليه من كبير ، وايمُ الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفينكموه .

وقال العباس : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضَب ، أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرّضه ليعود لبعض ماقال فأقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ماله لعنه الله ! أكل هذا فَرَقاً من أن أُشاتمه ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدَّع[1] بعيره ، وحوَّل رحلَه ، وشق قميصه وهو يقول : يامعشر قريش ، اللَّطِيمة اللطيمة[2] !! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لاأرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ! .

قال العباس : فشغلني عنه وشغله عني ماجاء من الأمر ، فتجهَّز

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تحمل البز والطيب .

الناس سراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ! كلا والله ليعلمُنّ غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعَبَت[1] قريش فلم يتخلَّف من أشرافها أحد ، إلاّ أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لاط له[2] بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفْلَس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب[3] .

ومما قاله أبو لهب للعاصي بن هشام : (اخرج وديني لك)[4] .

وقرر أمية بن خلف القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي مُعَيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر[5] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : ياأبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ماجئت به ، ثم تجهز فخرج مع الناس .

---

(١) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .

(٢) لاط له : أربى ، وفي ابن هشام : لاط : احتبس .

(٣) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٤ . الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٠ . والبداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٥٨ . وفي ابن هشام وفي البداية والنهاية اسم العاص « العاصي » .

(٤) السيرة النبويّة والآثار المحمدية ، جـ ١ ص ٤٢٥ .

(٥) المجمر : العود يتبخر به ، الحادثة في الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٧ / ب .

وسبب تخلّفه ، أن سعد بن معاذ قدم مكة معتمراً ، فنزل عليه ـ كما ورد معنا ـ لأن أمية كان ينزل على سعد بالمدينة إذا ذهب إلى الشام في تجارته ، ولما حاور سعد أبا جهل وقال له : (لأمنعنك ماهو أشد عليك منه طريقك على المدينة) ، صار أمية يقول لسعد : لاترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ، وجعل يسكت سعداً ، فقال سعد لأُمية : إليك عني فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : بمكة ؟ قال : لاأدري ، قال : والله ماكذب محمد[1] ، فكاد أن يحدث[2] في ثيابه فزعاً ، فرجع إلى امرأته فقال : ماتعلمين ماقال أخي اليثربي ؟ ـ يعني سعد بن معاذ ـ قالت : وماذاك ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي[3] ، قالت : فوالله مايكذب محمد . فلما جاء ضمضم مستصرخاً ، وأراد أُمية الخروج ، قالت له امرأته : أما علمت ماقال لك اليثربي ؟ قال : فإني إذن لاأخرج ، فلما صمَّم على عدم الخروج ، وأقسم بالله ألاّ يخرج من مكة ، أرسل له عقبة بن أبي مُعَيط ماأرسل فخرج .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٥٩ . وهامش السيرة الحلبية ، جـ ١ ص ١٥٥ .

(٢) يحدث : يبول .

(٣) ومعنى كونه ﷺ قاتله ، أنه كان سبباً في قتله ، ويحتمل أن سعد بن معاذ رضي الله عنه سمع النبي يقول : أنا أقتل أُبي بن خلف ، ففهم سعد أنه ﷺ يريد أُمية لاأُبياً .

وكان يثني قريشاً عن خروجها ذكرها الذي كان بينها وبين بني بكر من ثارات . فتعهَّد سُراقة بن جُعْشُم المدلجي ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً ، وعددهم : ٩٥٠ رجلاً ، معهم قرابة ١٠٠ فَرَس عليها ١٠٠ دارع سوى دروع المشاة[1] . . ومعهم القينات يضربن بالدفوف ، يغنين بهجاء المسلمين .

☆ ☆ ☆

وقف النبي ﷺ عند بئر أبي عتبة ، فتفقد أصحابه وهو على بعد ميل واحد من المدينة المنورة ، فعرضوا عليه ﷺ ، فردّ من استصغر ، وكان ممن ردّه : أُسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وأُسيد بن حضير ، وزيد بن الأرقم ، وزيد بن ثابت ، وردّ عمير بن أبي وقاص ، فبكى فأجازه ، فاستشهد وعمره ستة عشر عاماً .

وحسب أصح الروايات ، كان مع النبي ٣١٣ مجاهداً ، وفرح ﷺ بهذا الرقم ، وقال : « عدة أصحاب طالوت الذين جاؤوا معه النهر » ، وحسب رواية الطبري ، منهم : ٧٧ رجلاً من المهاجرين ، و ٢٣٦ رجلاً من الأنصار . معهم جميعاً ٧٠ بعيراً ، و ٦٠ درعاً ، وفرسان ، واحدة مع الزبير بن العوام ، والأُخرى مع المقداد بن الأسود .

---

(١) قُدِّرت في (البداية والنهاية) جـ ٣ ص ٢٦٠ بستمائة درع .

استخلف النبي ﷺ عبد الله بن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

ثم ردَّ أبا لبابة من الروحاء ، واستعمله على المدينة المنورة .

وتخلَّف عثمان بن عفان بسبب مرض زوجه (رقية) بنت رسول الله ﷺ .

وتخلف أبو أُمامة بن ثعلبة الأنصاري بسبب مرض أُمه .

وخلَّف ﷺ عاصم بن عدي على أهل قُبَاء وأهل العالية .

وعاد خوات بن جبير من الصفراء بسبب كسر أصابَ ساقه ، فدميت رجله واعتلت .

ولبس ﷺ درعه (ذات الفضول) ، وتقلد سيفه (العصب) . ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ولونه أبيض ، وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها (العقاب)[1] ، والأخرى مع بعض الأنصار[2] .

---

(١) كانت هذه الراية من مرط لعائشة رضي الله عنها .

(٢) في ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٧ : (وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ) . وحسب هامش السيرة الحلبية : لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، ولعله دفع الراية في بدر بإذن رسول الله ﷺ لغيره عندما وقف يحرس العريش مع نفر من الأنصار . وجعل النبي على الساقة (قيس بن أبي صَعْصَعَة) أخابني مازن بن النجار ، وساقة الجيش : مؤخرته ، راجع الاكتفاء جـ ١ ص ٨٧ / ب .

وكان معه ﷺ سبعون بعيراً يتعاقبون عليها . فكان رسول الله وعلي ابن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موليا رسول الله يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً . ورفاعة ابن رافع وخلاد بن رافع وعبيد بن زيد الأنصاري على بعير .

وقال للنبي ﷺ رفيقاه : اركب حتى نمشي معك ، ويجيب ﷺ : « ماأنتما بأقوى مني على المشي ، وماأنا بأغنى عن الأجر منكما »[1] .

وأمر رسول الله ﷺ بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل فقطعت . وقال ﷺ بعد أن نظر إلى صحابته رضوان الله عليهم : « اللهم إنهم حفاة وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك »[2] .

وخرج حبيب بن يساف نجدة لقومه من الخزرج ، وطالباً للغنيمة ، فقال ﷺ : « لايصحبنا إلا من كان على ديننا ، ارجع فإنا لانستعين بمشرك »[3] .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦١ .

(٢) فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلا وجد ظهراً للرجل البعير والبعيران ، واكتسى من كان عارياً ، وأصابوا فداء الأسرى فاغتنى به كل عائل .

(٣) يقال : إنه أسلم بعدها وجاء النبي مسلماً وهو في الروحاء ، ولو صح ذلك لتغير عدد المجاهدين الذين كانوا مع رسول الله !!

ولما سار رسول الله ﷺ صام يوماً أو يومين ، ثم نادى منـاديـه : « يامعشر العصاة إني مفطر فـأفطروا » ، وذلـك أنـه ﷺ كان قـال لهم قبل ذلك : افطروا ، فلم يفطروا .

☆ ☆ ☆

الطَّرِيقُ إلى بَدْر :

سلك النبي ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة ، على نقب المدينـة ، ثم على العَقِيـق ، ثم على ذي الحُلَيْفَـة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرَّ على تُرْبَـان ، ثم على مَلَـل ، ثم غَمِيس الحمـامِ من مَرَرَيْن ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالـة ، ثم على فج الرَوْحَـاء ، ثم على شَنُوكـة ، ثم عرق الظبيـة ، ثم سجسج وهي بئر الروحـاء ، ثم ارتحل منهـا ، حتى إذا كان بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار ، وسلـك ذات اليمين على النـازيـة يريـد بـدراً[1] ، ومن قرب مضيـق الصفراء ، بعث بسبس بن الجُهَني ، وعـدِيّ بن أبي الـزّغْبـاء الجُهَني إلى بـدر يتحسّسـان لـه الأخبـار عن أبي سفيان بن حرب وعيره ، ثم سلك وادياً يقال له ذَفِرَان[2] .

(١) بـدر : اسم بئر حفرهـا رجـل من غفـار ، ثم من بني النـار منهم ، اسمـه : بـدر ، وقيـل : هـو بدر بن قريش بن يخلد الذي سميت قريش به ، وروى يونس عن ابن أبي زكريا عن الشعبي ، قال : بدر : اسم رجل كانت له بدر .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٧ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ١ .

وأتـــاه ﷺ الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعـوا عيرهم ، فـاستشـار الناس : إن القوم قـد خرجوا من مكـة على كل صعب وذلول[1] ، فما ذا تقولون ؟ العير أحب إليكم من النفير ، فقالوا : بلى ، قالت ذلك طائفة منهم : العير أحب إلينا من لقاء العدو . والسبب :

١ً ـ (هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له ، إنا خرجنا للعير) ، إنهم لم يخرجوا لقتال .

٢ً ـ العير أحب إلى الصحـابـة ليستعينوا بمـا فيهـا من الأمـوال على شراء الخيل والسلاح[2] .

٣ً ـ قريش أخـذت للنزال أهبتـه ، وأحكمت استعـداداتهـا ، فمـاذا تكون النتيجة والعاقبة ؟ .

وقالت هذه الفئة : (يارسول الله ، عليك بـالعير ودع العـدو) ، فعند ذلك تغيَّر وجه رسول الله ﷺ ، وعند ذلك قام أبو بكر الصـديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقـداد بن عمرو فقـال : (يـارسـول الله ، امضِ لمـا أراك الله فنحن معــك ، والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربـك فقـاتلا ، إنا ههنا قاعـدون ﴾ ، ولكن . . اذهب أنت وربـك فقـاتلا إنـا معكمـا

---

(١) أي مسرعين .

(٢) هامش السيرة الحلبية ، جـ ١ ص ٤٢٢ .

مقاتلون مادامت لنا عين تطرف ، فوالذي بعثك بالحق نبياً ، لوسرت بنا إلى بَرْك الغِماد[1] ، لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك) .

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له به ، وأشرق وجهه الشريف . ثم قال : أشيروا علي أيها الناس ، يريد ﷺ الأنصار ، وذلك لسببين :

أ ـ العدد الغالب في الجيش منهم ، ٢٣٦ رجلاً من مجموع قدره : ٣١٣ رجلاً .

٢ ـ وبايع الأنصار رسول الله ﷺ بالعقبة قبل الهجرة قائلين : إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، ونمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا .

فكان رسول الله ﷺ يريد معرفة رأي الأنصار بوضوح ، خشية ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في دياره .

فقام سعد بن معاذ وقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : أجل .

قال سعد بن معاذ : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت

---

(١) موضع بناحية اليمن ، وقيل : إنها مدينة بالحبشة ، والمراد بعد المسافة .

به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الأنصار وأُجيب عنهم ، فاظعن حيث شئت ، وصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعادِ من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله[١] .

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين[٢] ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم »[٣] .

---

(١) قول سعد بن معاذ الذي أوردناه هنا ، مستخلص من مجموع المراجع التالية : ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٧ ، هامش السيرة الحلبية ، جـ ١ ص ١٦٠ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٤ ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ١٤ .

(٢) الطائفتان : عير قريش التي مع أبي سفيان ، أو النصر عند اللقاء .

(٣) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ا .

ثم ارتحل ﷺ من ذفران ، ونزل قريباً من بدر . وركب مع أبي بكر الصديق حتى وقف على شيخ اسمه سفيان الضمري ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ، فقال ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » ، قال سفيان الضمري : أذاك بذاك ؟ ! قال ﷺ : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، (المكان الذي به رسول الله ﷺ) ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإذا كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (المكان الذي فيه قريش) . فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : نحن من ماء[1] . ثم انصرف عنه ، قال الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ ! ؟

رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر عنده ، فأصابوا راوية[2] لقريش فيها

---

(١) وهنا تمويه وتورية ، وهو عرف مُتَّبَع في كل جيوش العالم ، لأنه يُحَقِّق سلامة الجيش وسريَّة حركته .

(٢) الإبل التي يسقى الماء عليها .

(أسلم) غلام بني الحجاج ، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما[1] قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله وسجد سجدتيه ، ثم سَلَّم وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صَدَقَا ، والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى - والكثيب اسمه : العَقَنْقَل - فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لاندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقال ﷺ : « القوم فيما بين التسعمائة والألف » . ثم قال لهما : « فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » ، قالا : عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختَريّ بن هشام ، وحكيم بن حِزَام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَة بن عَدِيّ بن نوفل ، والنضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُمَيَّة بن خلف ، ونُبَيْه ومُنبّه ابنا الحجاج ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعمروّ بن عبد ودّ ... فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال :

---

(١) بالغوا في ضربهما .

« هذه مكة قد أَلْقت إليكم أَفْلاذَ[1] كبدها »[2] .

وكان بَسْبَس بن عمرو وعَديّ بن الزَّغْباء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنّاً[3] لهما يسقيان فيه ، ومجديّ بن عمرو الجهنيّ على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر[4] ، وهما يتلازمان[5] على الماء ، والملزومة ـ المَدِينَة ـ تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذي لك . قال مجديّ : صدقت ، ثم خلّص بينهما ، وسمع ذلك عدي وبسبس ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

☆ ☆ ☆

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو الجهنيّ : هل أحسست أحداً ؟ فقال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ،

---

(١) أفلاذ كبدها : أفلاذ : قطع ، والمراد : أشراف مكة وعظماؤها .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٩ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٥ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ب .

(٣) الشن : الزق البالي .

(٤) النازلون على الماء .

(٥) تعلّق الغريم بغريمه .

ثم استقيا في شَنّ لهما ، ثم انطلقا ، فأتى أبو سفيان مناخهما[1] ، فأخذ من أبعار بعيريهما ففتَّه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها[2] ، فترك بدراً وانطلق مسرعاً .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا في الجُحْفة ، رأى جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة بن المطلب بن عبد مناف[3] رؤيا ، وهو بين النائم واليقظان ، فقام فزعاً فقال لمن حوله : هل رأيتم الفارس الذي وقف عليّ ؟ فقالوا : لا ، قال : وقف عليّ فارس فقال : قُتِل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البختري وأُمية بن خلف .. وفلان وفلان .. وعدَّ رجالاً من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر ، وقال : أُسِرَ سهيل بن عمرو .. وفلان وفلان .. وعدّ رجالاً ممن أُسِر ، ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لَبَّة بعيره[4] ، ثم أرسله في العسكر ، فما من خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه .

فقال لجهيم أصحابه : إنما لعب بك الشيطان . ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر ، وبلغت أبا جهل قال : قد جئتم بكذب بني المطلب

---

(١) أنخت الجَمَلَ (فاستناخ) أي أبركته فبرك ، (مختار الصحاح ، ص ٦٨٤) .

(٢) أخذ بها طريق الساحل ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٧ / ب .

(٣) أسلم في عام خيبر ، وأعطاه رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسقاً ، وقيل : أسلم بعد الفتح .

(٤) اللَّبَّة بوزن الحَبَّة المَنْحَر ، (مختار الصحاح ، ص ٥٨٩) .

مـع كـــذب بني هـــاشم ، سيرون غـــداً من يُقْتَــل ، نحن أو محمـــد وأصحابه[1] ! !

ولما رأى أبو سفيان أنه قـد أحرز[2] عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فـارجعوا . فقـال أبو جهل : والله لا نرجـع حتى نَرِدَ بـدراً ـ وكان بـدر مـوسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم بـه سوق كل عـام ـ فنقيم عليـه ثلاثـاً ـ ثـلاث ليـال ـ ، وننحر الجُـزُر ، ونُطْعِمُ الطعـام ، ونسقي الخمـور ، وتَعْـزِف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، ويرانـا من غشينـا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا ، .. فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا[3] .

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بـالجُحْفَـة : يـا بني زُهرة ، قـد نجّى الله لكم أمـوالكم ، وخلّص لكم صـاحبكم مَخْرَمـة بن نـوفـل ، وإنّما نفرتم لتمنعـوه ومـالـه ،

---

(١) البـــدايـــة والنهـــايـــة ، جـ ٣ ص ٢٦٥ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٨ ، السيرة الحلبيـــة ، جـ ٢ ص ١٦٢ .

(٢) الحرز : الموضع الحصين ، واحترز من كذا وتحرّز منـه أي توقّاه ، والمراد هنـا نجـا بعيره ، وسلم بها .

(٣) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٤ ، البـــدايـــة والنهـــايـــة ، جـ ٣ ص ٢٦٦ ، السيرة الحلبيـــة ، جـ ٢ ص ١٦٦ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ب .

فاجعلوا بي جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضَيْعَة ، لا ما يقول هذا ـ يعني أبا جهل ـ فرجعوا ، فلم يَشْهَدْها زهريٌّ واحد ، وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نفر منهم ناس ، إلا بني عديّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد[1] ، ومضى القوم .

ولعل من أسباب رجوع الأخنس بن شَرِيق سؤاله لأبي جهل قبل رجوعه بيوم أو يومين : (أترى محمداً يكذب ، اصدقني ليس بيني وبينك أحد ؟ ويجيب أبو جهل : ما كذب محمد قط ، كنا نسميه الأمين ، لكن إذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة[2] والمشورة ، ثم تكون فيهم النبوة ، فأي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرَسيْ رهان)[3] ؟ ! ؟

وكان بين طالب بن أبي طالب ، وكان مع قريش ، وبين بعض أفرادٍ ممن خرج من مكة محاورة ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني

---

(١) (إلا رجلان قتلا كافرين) ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٦٣ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ب .

(٢) السقاية والرفادة : سقاية الحجيج في مكة ، وإطعامهم .

(٣) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٦٣ .

هاشم ، وإنْ خرجتم معنا ، أنّ هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع ، وقال :

يا رَبِّ[1] إمّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ ... في مِقْنَبٍ من هذه المَقَانِبْ[2]
فليكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ ... وليكُنِ المغلوبَ غَيْرَ الغَالِبْ[3]

☆ ☆ ☆

ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَةِ القُصْوى من الوادي خلف العَقَنْقَل ، وبطن الوادي هو (يَلْيَل) بين بدر وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريش ، والقُلُب[4] ببدر في العدوة الدنيا من بطن (يَلْيَل) إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً[5] ، فأطفأت الغبار ، ولبدت الأرض وشدَّتها للنبي ﷺ ولأصحابه ، وطهرهم به وأذهب عنهم رجز الشيطان ، وشربوا منه ، وملؤوا الأسقية ، وسقوا الركائب ، واغتسلوا من الجنابة ، وطابت نفوسهم : ﴿ ويُنَزِّلُ عليكم

---

(١) في ابن هشام (لاهُمَّ) ، جـ ٢ ص ١٩١ .
(٢) في ابن هشام (في عُصْبةٍ مُحالِفٍ محاربْ) ، وهنا المقنب : الجماعة من الخيل ، مقدار ثلاثمائة أو نحوها .
(٣) هذه رواية الطبري ، جـ ٢ ص ٤٣٩ .
(٤) القُلُب : جمع قَلِيب : البئر (مختار الصحاح ، ص ٥٤٧) .
(٥) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً .

من السَّماء ماءً لِيُطَهِّرَكُم به ، وَيُذْهِبَ عنكم رِجْزَ الشيطانِ وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُم وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدام ﴾[١] .

وأصاب قريشاً من المطر ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه[٢] ، فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[٣] .

☆ ☆ ☆

ذو الرأي ، الحباب بن المنذر بن الجموح :

وقف الحباب بن المنذر بن الجموح وقال[٤] : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال ﷺ : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ١١ .

(٢) لبَّدت المطر مكان جيش المسلمين ، وسببت طيناً عند قريش ، حسب طبيعة الأرض ، وبذلك سببت المطر أرضاً مناسبة للحركة في جانب المسلمين ، وأرضاً طينية لا تناسب الحركة الحربية الخفيفة في جانب قريش .

(٣) أكلت قريش من أزوادها بعد نزولها على ماء بدر ، وكان أول من نحر لها : أبو جهل بعد أن خرجوا من مكة ، أمية بن خلف في عسفان ، سهيل بن عمرو بقديد ، شيبة بن ربيعة قريباً من البحر ، عتبة بن ربيعة بالجحفة ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج بالأبواء ، ثم العباس ، وأبو البختري على ماء بدر .

(٤) الخبر يبدأ في (الاكتفاء) ، جـ ١ ص ٨٨ / ب .

فقال الحُبَاب بن المنذر : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فإني أعرف غزارة مائِه وكثرته ، فنزله ، ثم نُغَوِّر[1] ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، لأن القُلُب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب ، وتغويرها كيلا تأتي قريش إليها من خلفهم ، فالغرض إذن قطع أملهم من الماء . ولفتة الحُبَاب هذه لفتة خبير عليم بقيمة الماء وأهميته في الصحراء ، فجيش يفقد الماء في مثل طبيعة أرض الجزيرة ، يفقد السيطرة على تصرفاته ؛ لأنه يكاد يفقد حياته .

قال ﷺ : « لقد أشرت بالرأي »[2] ، فنهض ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . ويومئذ قيل للحُبَاب بن المنذر بن الجموح : (ذو الرأي)[3] .

---

(١) غوَّر الماء ، أي جعله غائراً ، دفنه .

(٢) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٦٥ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٩٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٠ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٧ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٨ / ب .

(٣) (ذو الرأي) ، الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ، أبو عمر ، وقيل : أبو عمرو ، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . لسيرته رضي الله عنه : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، جـ ١ ص ٤٣٦ ، طبعة دار الشعب .





المكان الذي فيه نبع بدر وحوله النخل

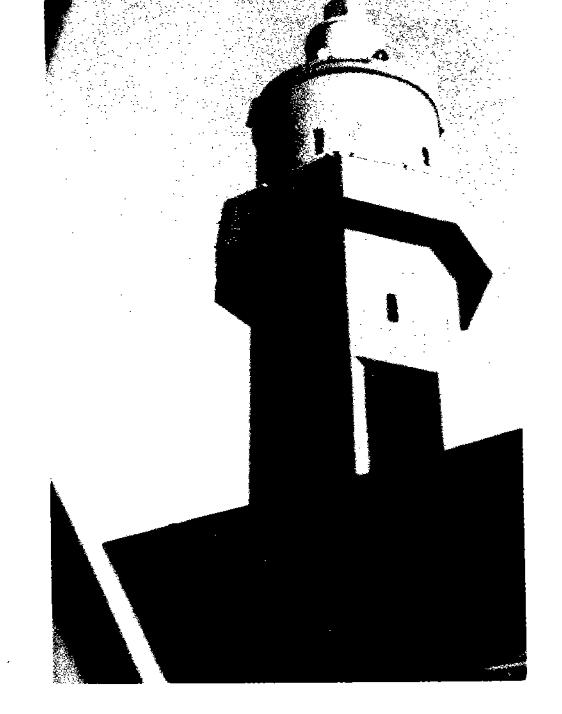
وقال سعد بن معاذ : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا فقد تخلَّف عنك القوم ، يا نبي الله ، ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تَخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله خيراً ودعا له بخير ، وقال ﷺ : « أو يقضي الله لك خيراً من ذلك يا سعد » ، وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم . ثم بُنِيَ لرسول الله ﷺ عريش فوق تل مشرف على المعركة ، فكان فيه .

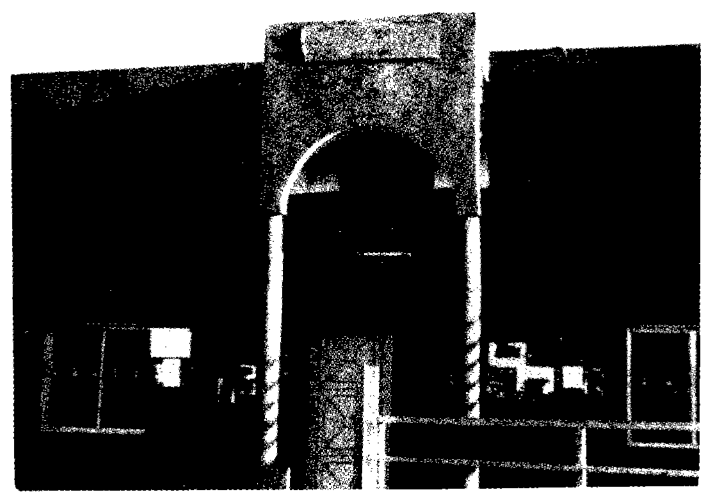
وقال ﷺ : « هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً ، ووضع يده على الأرض ، وهذا مصرع فلان ههنا ، وهذا مصرع فلان ههنا » ، قال أنس : (ما ماط أحدهم عن موضع يده ﷺ) ، أي ما تنحى أحدهم عن موضع يد رسول الله .

وفي صباح اليوم التالي ، ارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم[1] الغداة » . وفي رواية : « اللهم لا تفلتن

---

(١) أحنهم : أهلكهم .





مكان العريش بني مسجد عُرِف باسم مسجد العريش

أبا جهل فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتن زمعة بن الأسود .. » .

ورأى رسول الله ﷺ عتبة بن ربيعة في قريش على جمل له أحمر فقال : « إن يكن في أحد من القوم خير ، فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا »[1] .

وبعث خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغِفاري[2] إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائر[3] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح ورجال فعلنا ، فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلتْك الرّحم ! فقد قضيت الذي عليك ، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس ، مابنا ضعفٌ عنهم ، ولئن كنا نقاتل الله ـ كما يزعم محمد ـ فمالأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ، حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ فقال : دعوهم ، فماشرب منهم رجل إلا قُتِل يومئذ ، إلاّ ماكان من حكيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٩٢ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٨ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٦٧ .

(٢) وفي رواية أبوه « إيماء » .

(٣) بذبائح ، وأول من نحر لجيش قريش أبو جهل ، ذبح بعد أن خرجوا من مكة ، ثم أمية بن خلف ذبح في عسفان ، ثم سهيل بن عمرو ذبح بقديد ، ثم شيبة بن ربيعة ذبح قريباً من البحر ، ثم عتبة بن ربيعة ذبح بالجحفة ، ثم نبيه ومنبه ابنا الحجاج ذبحا في الأبواء ، ثم العباس ، ثم أبو البختري ذبح في بدر ، ثم أكل الجيش ، كل من زاده .

الوجيه ، وأسلم بعد ذلـك ، فحسن إسلامـه ، فكان إذا اجتهـد في يمينـه قال : لا والذي نجّاني يوم بدر .

كما بعثت قريش عُمَيْر بن وهب الجمحي وقـالوا لـه : احـزُر (أي خَمِّن) لنا أصحاب محمد . فاستجال بفرسـه حول المعسكر ، ثم رجع إلى قريش فقـال : ثلاثمـائـة رجـل يـزيـدون قليـلاً أو ينقصـون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر أَلِلقوم كمين أو مـدد ؟! فضرب في الـوادي حتى أبعـد فلم يَرَ شيئاً ، فرجع إليهم فقـال : مـاوجـدت شيئـاً ، ولكني قـد رأيت ـ يامعشر قريش ـ الولايا[١] تحمل المنايا ، نواضح[٢] يثرب تحمل الموت النـاقع ، ألا ترونهم خرسـاً لايتكلّمـون ، يتلمظـون تلمـظ الأفـاعي[٣] ، لايريــدون أن ينقلبـوا إلى أهليهم ، زرق العيـون كأنهم الحصى تحت الحجف . قوم ليس معهم مَنَعـة ولاملجـأ إلا سيـوفهم ، والله مـاأرى أن يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ، فـإذا أصـابـوا منكم أعـدادهم ، فماخيرُ العيش بعد ذلك ، فَرَوْا رأيكم[٤] .

---

(١) الولايـا : جمع وليـة ، وهي البرذعـة التي تكـون تحت الرحـل ، وفي ابن هشـام ، وفي البـدايـة والنهاية : (البلايا تحمل المنايا) .

(٢) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء ، ثم استعمل في كل بعير ولو لم يحمل الماء .

(٣) تَلَمَّظ : إذا تتبَّع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيـه ، (مختـار الصحـاح ، ص ٦٠٤) .

(٤) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٩٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٢ ، البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٣ ص ٢٦٩ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٩ / ١ .

سمع حكيم بن حزام ماقاله عُمَيْر بن وهب الجمحي ، فسار فأتى عتبة بن ربيعة فقال : ياأبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لاتزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟! قال : وماذاك ياحكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرميّ ، قال : قد فعلت ، أنتَ عليَّ بذلك ، إنما هو حليفي فعليَّ عَقْله ، وماأُصيب من ماله ، فأتِ ابن الحنظلية[1] فإني لاأخشى أن يشجُرَ[2] أمرَ الناس غيرُه ، يعني أبا جهل بن هشام .

ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يامعشر قريش ، إنكم والله ماتصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لايزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرَّضوا منه ماتريدون .

قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل[3]

---

(١) الحنظلية : أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخربة ، أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة .

(٢) يشجر ، من الشجار ، وهو المخالفة والمخاصمة .

(٣) نثل : أخرج .

درعاً له من جرابها ، فهو يهنئها[1] ، فقلت له : ياأبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال ، فقال أبو جهل : انتفخ والله سَحْرُه[2] حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، ومابعتبة ماقال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ ، فقال : هذا يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فأنشد خَفْرَتَك[3] ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي ، فكشف عورته ، وحثا عليها التراب ، ثم صرخ : واعَمْراه ... واعَمْراه ... فحميت الحرب ، واشتد الناس ، واستوسقوا على ماهم عليه من شر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة .

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل (انتفخ والله سحره) ، قال : سيعلم مصفر أُسته من انتفخ سحره ، أنا أمْ هو ؟!؟ ثم التمس عتبة خوذة ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش خوذة تسعه من عظم هامته ،

---

(١) يهنئها : يطليها بعكر الزيت ، وفي الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٤ : (يُهَيِّئها) .

(٢) انتفخ سحره ، أي رئته ، يقال ذلك للجبان .

(٣) الخفير : المجير ، خَفَرَ الرَّجُلَ ، أي أجاره وكان له خفيراً يمنعه ، وتَخَفَّر : استجار به وسأله أن يكون له خفيراً ، (مختار الصحاح ، ص ١٨٢) .

فلما رأى ذلك اعتجر[١] على رأسه بِبُرْدٍ[٢] له .

وخرج الأسود بن عبد الأسـد المخزومي ـ وكان رجلاً شرسـاً سيئ الخُلُق ـ فقال : أُعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنـه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربـه حمزة فأطن قدمه[٣] بنصف سـاقـه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً ، ثم حبـا إلى الحوض حتى اقتحم فيـه ، يريـد أن يبر يمينه ، وليشرب منه ويهدمه برجلـه الصحيحـة ، واتبعـه حمزة فضربـه حتى قتله في الحوض[٤] .



(١) الاعتجار : لف العمامة على الرأس.

(٢) البُرْدة : كساء أسود مُرَبَّع فيه صِغَر تلبسه الأعراب ، والجمع (بُرَد) ، « مختار الصحاح ، ص ٤٧ » .

(٣) أطن : أطار .

(٤) الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٩ / ب .

المعركة

١٧ رمضان المبارك ٢هـ

١٣ آذار، مارس، ٦٢٤م

☆ ﴿ وَلَقَـد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَـدْرٍ وَأَنتم أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُون ﴾
[آل عمران : ١٢٣]

وهكذا .. تهيَّأ جو المعركة ، وما هي إلا لحظات ويخرج القوم إلى المبارزة ، وليلتحم الجيشان بعدها مباشرة . فما هي الروح المعنوية ، وماهي الحالة النفسية عند الطرفين المتحاربين ؟!

لاشك أن النصر من عند الله ، لا ريب في ذلك :

☆ ﴿ وما النصر إلا من عند الله ، إنَّ الله عزيز حكيم ﴾[١] .

☆ ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾[٢] .

☆ ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأَرض تخافون أن

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ١٠ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ١٧ .

يتخطفكم النـــاس فـآواكم وأيــدكم بنصره ورزقكم من الطيبـــات لعلَّكم تشكرون ﴾[1] .

☆ ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبَكَ اللهُ هو الـذي أيـدك بنصره وبالمؤمنين ﴾[2] .

والله لا يهب النصر ، ولا ينزل تـأييـده لمن لم يتهيـأ ويعـد لـلأمر عدته ، وإنه سبحـانـه لا يمنح النصر لكسول متواكل ، ويهبـه للمستعـد المتوكل . وعلى ذلك :

أ ـ خـاض المسلمون الحرب بتفـاؤل ويقين بـالنصر ، فـالنبي ﷺ قرَّر قبـل المعركـة نتيجتهـا ، مـع أن ظـاهر الأَمر ، القـوة إلى جـانب قريش من حيث العَـدد ، ومن حيث الاستعـدادات والعُـدد ، ٩٥٠ رجلاً ، يقابلهم ٣١٣ في جانب المسلمين ، ومع قريش ١٠٠ فرس يقابلها فرسان فقط في جانب المسلمين ، مئـات الـدروع يقـابلهـا ٦٠ درعـاً في جـانب المسلمين ... فقريش خرجت لحرب ، والمسلمـون خرجـوا لاعتراض قافلة ، ومع ذلك حزم النبي وجزم ، أن النصر حتماً ويقيناً إلى جانب المسلمين . وظهر ذلك على لسان النبي ﷺ في أكثر من موضع :

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٦٢ .

١ ـ « سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين »[1] ، فالقافلة أفلتت ونجت ، فلم يبق إلا النصر في المعركة يقيناً ، لأن الوعد نسب إلى الله عز وجل : « فإن الله قد وعدني » . فالنصر محقق لا محالة .

٢ ـ « والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع فلان »[2] ، يضع يده على الأرض ههنا ، فما أناط أحدهم عن موضع يده الشريفة ﷺ .

٣ ـ ولما أشار سعد بن معاذ رضي الله عنه ببناء العريش ، وأعدَّ الركائب ليعود الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة إن لم يتحقَّق النصر ، قال النبي : « أو يقضي الله لك خيراً من ذلك يا سعد »[3] ، أي النصر والظهور على قريش .

٤ ـ وفي العريش ـ مركز القيادة ـ قال ﷺ : « اللَّهم فنصرك الذي وعدتني » ، حتى أنه ﷺ صار يطلب من الله بعض رؤوس الكفر بأسمائهم : « اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأُمة ، وزمعة بن الأسود .. » .

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٢٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٢ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١/٨٨ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٦٣ . الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤١

(٣) السيرة النبوية والآثار المحمدية ، جـ ١ ص ٤٣٤ .

وهنا نقرر أمراً عظيماً خطيراً ، لولم يكن محمد رسول الله حقاً وصدقاً ويقيناً ، لما ورَّط نفسه ﷺ بهذه النبوءات قبل المعركة غير المتكافئة ، فقول واحد فيه نبوءة ، إن أتى الواقع على خلافها ، تكفي لإلغاء ودحض الوحي ، وبالتالي نفي النبوة .

وقوله ﷺ : « والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع فلان » ، دليل على أن الله عز وجل قد أطلع النبي على غيب ، لقد استشف المستقبل ، ورأى نتيجة المعركة ، فقرر الفوز قبل بدء القتال ، ورأى مصارع القوم كل في موضع ميتته .

فلو لم يكن محمد على صلة بالله ، وعلى يقين بالله ، وأن وعده سبحانه حق ، لما تنبأ بأمور إن أخطأت أضحت حرباً إعلامية تستغلها قريش لإثبات زيف النبوة ، ولارتد المسلمون عن دينهم أيضاً .. ولكنه الوحي : ﴿ وما ينطِقُ عن الهوى ، إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى ، عَلَّمَهُ شَديدُ القُوَى ﴾[1] . فاليقين بالنصر ، حُدِّد قبل المعركة ، لأن الله حدَّده وقرَّره وأنزله ، وأطلع عليه نبيَّه ، وأطلع النبي الصحابة عليه ، فطابت نفوسهم . وهذه النبوءات وأمثالها ، من مؤشرات صدق النبي ، وصدق الرسالة أجمع .

---

(١) سورة النجم ، الآيات الكريمة : ٣ و ٤ و ٥ .

٥ ـ كما استبشر المسلمون بالمطر الـذي لبَّـد لهم الأرض ، واستبشروا بالماء الـذي أصبح بحوزتهم ، ومنعوا عـدوهم منـه ، واستبشروا وتفـاءلوا بنتيجة المبـارزة في بـدء القتـال ـ كما سيمر معنـا ـ بـانتصـار المبـارزين المسلمين على المبارزين المشركين .

☆ وبالمقـابل خـاض المشركون الحرب بتشـاؤم وغرور بـالكثرة ، ودليل ذلك :

١ ـ رؤيـا عــاتكــة بنت عبــد المطلب : (انفروا يــا آل غُــدَر لمصارعكم .. ثم أخـذ صخرة ، فـأرسلهـا ، فـأقبلت تهوي حتى إذا كانت بـأَسفل الـوادي ارفضَّت ، فمـا بقي بيت من بيـوت مكـة ، ولا دار من دورها . إلا دخلت منها فِلْقَة) .

٢ ـ رؤيا جهيم بن الصلت : (قُتِلَ أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبــو البختري وأُميــة بن خلف .. وأُسِرَ سهيــل بن عمرو .. ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما من خبـاء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه) .

٣ ـ رجـوع بني زهرة مـع الأخنس بن شريــق الثقفي ، والــذي عرف من أبي جهل ، أن محمداً لا يكذب : (ثم تكون فيهم النبوة ، فأي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرسي رهان)؟!

٤ ـ وجعل المطر أرض معسكرهم طيناً ، وحرموا من مياه الشرب بتغوير المسلمين للآبار .

٥ ـ ومن الشؤم فقدان قريش ثلاثة من صناديدها الأبطال في لحظات في بدء المعركة ، وقريش تنظر إليهم .



٢ً ـ وخاض المسلمون الحرب بقيادة حكيمة رحيمة . استطلعت وقدَّرت حجم عدوها ومن فيه من الرجالات ، وهي التي أمرت بقطع الأجراس من أعناق الإبل ، لتأمين سرية الحركة والتنقُّل . وهي التي استشارت المهاجرين والأنصار ، ورجعت إلى رأي أهل الرأي ، رأي الحُبَاب بن المنذر في اختيار المعسكر ، وقبلت رأي سعد في بناء العريش كمقر قيادة في موضع مشرف على ميدان القتال ، مع حرس من المسلمين اختارهم سعد من فتيان الأنصار برئاسته ، فكان العريش غرفة عمليات ، ومكان القيادة والتوجيه .

أما عن القيادة الرحيمة .. فيكفينا الإشارة إلى أن النبي ﷺ كان يركب ساعة ويمشي ساعتين كأي رجل من الجند ، ولما طُلِب منه ﷺ : اركب حتى نمشي ، يجيب : « ما أنتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

ومن المواقف المؤثرة قبل المعركة ، والتي أظهرت روعة رسول الله قائداً رحيماً ، عادلاً حكيماً ، إنها قصة سَوَاد بن غَزِيَّة[1] . لقد عدل ﷺ صفوف أصحابه وفي يده قِدْحٌ[2] يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزِيَّة حليف بني عدي بن النجار وهو خارج متقدِّم من الصف ، فطعن في بطنه بالقِدْح ، وقال ﷺ : « استوِ يا سُواد » ، فقال سواد : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقدني[3] أقتص لي من نفسك . فقال ﷺ : « اقتص » ، فقال سواد : إن عليك قميصاً وليس عليّ قميص . فرفع رسول الله ﷺ قميصه ، فكشف عن بطنه وقال : « استقد » .. فاعتنقه واحتضنه سواد فقبل بطن رسول الله ، فقال ﷺ : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » ، قال : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله بخير .

وهذا الحب العظيم من الصحابة للنبي ﷺ رُسِمَ بدقة ، وحدد بوضوح ، أرادوا أن يسجدوا له فقال : أنا عبد الله ورسوله ، مات ابنه إبراهيم فقالوا : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » ،

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٩٥ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٧١ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٩/ب .

(٢) القِدْح : السهم .

(٣) أقدني : أي مكنّي .

فجعلهم في حدود المنطق والعقل ، وجعل لحبهم حداً لا يتعدونه ، وحددت الآية الشريفة مكانته ﷺ : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ ، ومع كوني بشراً ، أتيتكم بهذا القرآن العظيم ، وهو فوق طاقة البشر ، فهو إذن ﴿ يوحى إليّ ﴾ .

فحب الصحابة للنبي الكريم العظيم ، أبقاه ﷺ في بشريته وعبوديته لله المطلقة ، مع ﴿ يوحى إليّ ﴾ إنها نبوة ووحي وإسلام من عند الله .

☆ وخاضت قريش الحرب بقيادة هوجاء مستكبرة ، وفي خيلاء مصدره أنها أهل الحرم وسدنة البيت ، وأنهم الأعزّة الذين لم يذلوا ، ولهم بين العرب مكانتهم الرفيعة ، فكيف يتطاول ويتجرأ على التصدي لعيرهم محمد بن عبد الله ومن معه ؟ فخرجوا ليوجهوا ضربة قاصمة تقضي على الإسلام وأهله .

ولقد نجا أبو سفيان ومن معه ، وكان هذا كافياً ليرجع الطرفان ، فقد فاته الغرض الذي أراده ، وخرج من أجله ، ولكن الله جمع الفريقين ، قلة مؤمنة ظاهرها ضعف ، وكثرة مشركة ظاهرها قوة ، ليكون لقاء بدر فرقاناً بين حَقٍّ ظُلِم ، وباطل ظَلَم ، وليكون لقاء بدر ميزاناً ومقياساً للنصر والهزيمة . فكثرة مع استعداد وسمعة ليست كافية للنصر في وجه قلة مؤمنة مع عقيدة جمعت بين قلوبهم[1] ، وإيمان وحب

(١) صور من حياة الرسول ، بتصرُّف .

لله جعل واحدهم في شوق إلى الشهادة ، وغايته وأمله فداء العقيدة .

وهذه القيادة الهوجاء هي التي قالت : (والله لانرجع حتى نَرِد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحر الجُزُر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمور ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أَحد من العرب وماجمعنا فيقاتلنا .. فلايزالون يهابوننا أبداً) .



٣ ـ وخاض المسلمون الحرب بخطة مدروسة محدَّدة مقرَّرة ، وهي نظام الصف ، والماء معهم ، والشمس خلفهم .

لقد فوجئت قريش بصفوف المسلمين المتراصَّة : ﴿ إنَّ الله يُحِبُّ الذينَ يقاتِلُونَ في سبيلِهِ صَفّاً كأَنَّهم بنيانٌ مَرْصُوص[١] ﴾ . فنظام الصف[٢] خطة مُحْكَمَة غيَّرت نظام الكر والفر الذي كانت القبائل العربيَّة تحارب بموجبه ، حيث تبدأ المعركة بمبارزة بين الصَّفَّين المتحاربين ، ثم ينقضُّ الطرفان ، حيث يقاتل كل فرد فرداً من الطرف الآخر .

---

(١) سورة الصف ، الآية الكريمة : ٤ .

(٢) قال عبد الرحمن بن عوف : (صفَّنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً) ، وقال أبو أيوب الأنصاري : (صفَّنا رسول الله ﷺ يوم بدر ، فبدرت منا بادرة أمام الصف ، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال : معي ، معي) ، تفرَّد به الإمام أحمد بإسناد حسن .

بينما هنا أمر رسول الله ﷺ أصحابه وهم في صفوفٍ كصفوف الصلاة ، أن لايحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتَنَفكُم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل » ، وقال : « واستبقوا نبلكم » ، أي لاترموهم على بعد ، فإن الرمي مع البعد غالباً مايخطئ ، فيضيع النبل ، وقال : « لاتسلوا السيوف حتى يغشوكم » . ومما قاله ﷺ : « إن الصبر في مواطن البأس مما يُفَرِّج الله عز وجل به الهم ، وينجي به من الغم » .

☆ وخاضت قريش الحرب بغير خطة محدَّدة ، والشمس في وجوههم ، والماء مع أعدائهم .



٤ ـ وخاض المسلمون الحرب بجند على قلب رجل واحد معتمدين على ربهم :

قال المهاجرون : (يارسول الله ، امضِ لما أراك الله فنحن معك .. اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون مادامت لنا عين تطرف ، فوالذي بعثك بالحق نبياً ، لو سرت بنا إلى بَرْك الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك) .

وقال الأنصار : (فاظعن حيث شئت ، وصل حبال من شئت ،

واقطع حبال من شئت ، وعادِ من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ، ومأأخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، ومأأمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فامضِ يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلّف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله) .

☆ وخاضت قريش الحرب متكبرة مغرورة معتمدة على كثرتها ، قال أبو جهل : (محمد وأصحابه أكلة جزور) .

☆ ☆ ☆

هذه الأُمور ، وهذه العوامل .. أهّلت المسلمين للفوز والنصر ، ولا يعني ذلك أن هذه الأُمور ، وهذه العوامل وحدها كافية لتحقيق النصر ، لقد أنزل الله نصره ، وأيد المسلمين بملائكته ، وإن كانت هذه العوامل لها تأثيرها ، فهي فيض من فيوضات الإسلام على العرب بعد إسلامهم ، فلولا نبوة محمد بن عبد الله ، ولولا دين الله الذي ارتضاه لعباده ، لما تفتّح العقل العربي على مثل هذه الاستعدادات ، وهذا النظام ، بقيادة رحيمة حكيمة ، وبأُلفة تامة ، وبعقيدة واحدة متينة ، مع تفانٍ في سبيلها .

وكان من حكمة الله تعالى أن جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال في أعين المشركين قليلاً استدراجاً لهم ليقدموا ، ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيراً ، ليحل الرعب والوهن في قلوبهم ، وجعل المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلاً ليقوى بأسهم على مقاتلتهم .

قال ابن مسعود : لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُم إِذْ التَقَيْتُمْ في أعينكم قليلاً ﴾[1] ، وقال عز وجل : ﴿ قد كان لكم آيةٌ في فئتينِ التقتا ، فِئَةٌ تقاتِلُ في سبيلِ اللهِ ، وأُخرى كافِرَةٌ يرونَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ ﴾[2] ، أي يرى أولئك الكفارُ المؤمنين مثليهم رأى العين .

وذكر أن قَبَاث بن أَشْيم[3] قال في نفسه يوم بدر : لو خرجت نساء

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٤٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٣ .

(٣) قَبَاث بنُ أَشْيَمَ بن عامر بن الملوَّح ، أبو عمر ، شهد بدراً مع المشركين ، ثم أسلم بعد الخندق فحسن إسلامه ، وكان قديم المولد ، أدرك عبد شمس ، وعَقِلَ مجيء الفيل إلى مكة . ثم شهد اليرموك وكان على إحدى المجنبتين ، ثم سكن دمشق . سألهُ عبد الملك بن مروان : أنت أكبر أمْ رسول الله ﷺ ؟ فقال : بل رسول الله ﷺ أكبر ، وأنا أسن منه . [أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٣٧٩] .

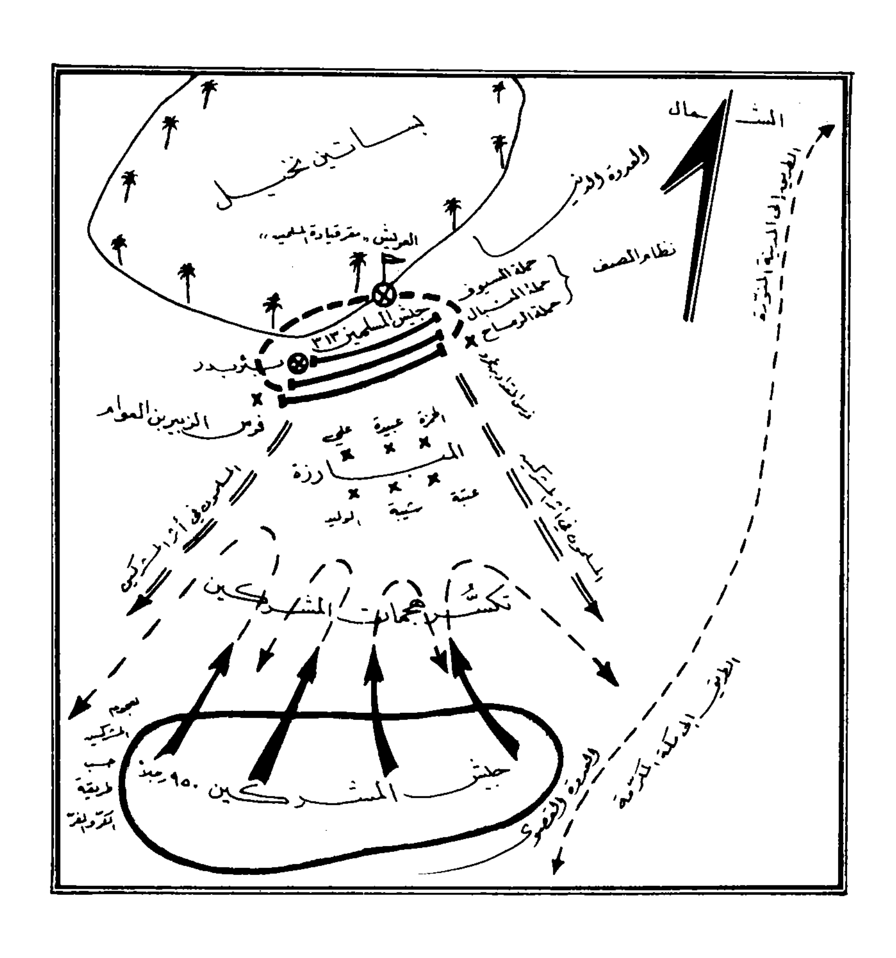
قريش بأكَمتها[1] لردت محمداً وأصحابه ، وقال : لما كان بعد الخندق قدمت المدينة ، سألت عن رسول الله ﷺ ، فقالوا : هو ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت عليه ﷺ ، فقال : « يا قباث أنت القائل يوم بدر : لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمداً وأصحابه » ؟ فقال قباث : والذي بعثك بالحق ماتحدث به لساني ، ولا ترفرفت[2] به شفتاي ، ولا سمعه مني أحد ، [وماهو إلا شيء هجس في قلبه ، وحينئذ يكون معنى قوله ﷺ له : أنت القائل ، أي في نفسك] ، فقال قباث : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن ماجئت به الحق .

لقد جمع الله سبحانه الطرفين ببدر ، وخرق للمسلمين العوائد في بدء نشوء دولتهم قبل استكمال قواها المادية ، فكانت بدر توطيداً للنواة الطيبة التي لو هلكت ، لما عُبِدَ الله بحق بعدها .



(١) الأَكَمُ : ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد . [لسان العرب ، جـ ١٢ ص ٢١] .

(٢) في (أُسد الغابة) : ماتحرك به لساني ، ولا تَرَمْرَمَت به شفتاي ، ولا سمعه أذناي .



غزوة بدر الكبرى

يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان

١٧ رمضان ٢ هـ، ١٣ آذار ٦٢٤ م

المعركة :

خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ووقفوا بين الجيشين ، ودعا عتبة إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة إخوة ، وهم : معاذ ، ومُعَوِّذ ، وعوف بنو الحارث ، وأُمُّهم عفراء[1] ، فقال عتبة وأخوه وابنه : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة[2] ، ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأمرهم ﷺ بالرجوع ، فرجعوا إلى مصافهم ، ثم قال ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي » . فلما قاموا دنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي . قالوا : أكفاء كرام . فبارز عبيدةُ ـ وكان أسن القوم ـ عتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة .

فأما حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت[3] صاحبه ،

---

(١) وقيل بدل عوف رجل آخر من الأنصار هو : (عبد الله بن رواحة ﷺ) . الاكتفاء ، جـ ١ ص ٨٩/ب .

(٢) وفي رواية السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٧٠ : (مالنا بكم من حاجة ، أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا) .

(٣) جرحه جراحة بالغة .

وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فأسرعا في قتله ، واحتملا صاحبهما إلى جيش المسلمين ، وأضجعوه إلى جانب موقفه ﷺ ، فأفرشه قدمه الشريفة ، فوضع عبيدة خدّه عليها ، وقال : ألست شهيداً يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : « أشهد أنك شهيد » ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أني أحق بما قال منه :

وَنُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عن أبنائِنا وَالحَلائِلِ[1]

ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، بعد هذه المبارزة ، التي كانت أول مبارزة في الإسلام ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، واستبقوا نبلكم ، ولا تسلُّوا السيوف حتى يغشوكم » .

ثم عدّل ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، فناشد ربّه ما وعده من النصر : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض »[2] ، لأنه ﷺ يعلم أنه آخر النبيين ، فإذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبّد بهذه الشريعة .

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٦ ، وتوفي رضي الله عنه قبل وصوله إلى المدينة المنورة في الصفراء ، ودفن بها .

(٢) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٧ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ١٩٥ ، السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص : ١٧٣ .

ويقول أبو بكر : يا نبي الله ، إن الله منجز لك ما وعدك . ومازال ﷺ يدعو ربه ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبه ، فأخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفاك تناشد ربك فإنه سينجز لك ما وعدك .

وخفق[١] رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه ، فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فَرَسٍ يقوده على ثنايا النقع[٢] » . ثم التفت ﷺ وكأن شق وجهه القمر ، وقال : « كأني أنظر إلى مصارع القوم عشية »[٣] .

وكان أوّل شهيد في بدر مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب ، رُمي بسهم فاستشهد[٤] .

استشهاد حارثة :

استشهد حارثة بن سراقة بن قيس وهو يشرب من الحوض ، أصابه سهم بنحره فاستشهد .

---

(١) أخذته سِنَةٌ خفيفة من النوم .

(٢) النقع : الغبار . مختار الصحاح ، ص : ٦٧٦ وفي « الاكتفاء » جـ ١ ص ٨٩/ب : « هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع ، يريد الغبار » .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٧٦ .

(٤) أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، فاستشهد بسهم رماه عامر بن الحضرمي .

وكان حارثة قد سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له بالشهادة ، فقد جاء أنه ﷺ قال لحارثة يوماً وقد استقبله : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً ، قال : انظر ماتقول ، فإن لكل قول حقيقة ، قال : يا رسول الله عزلت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، فكأني بعرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعادون فيها ، قال ﷺ : « أبصرت فالزم ، عبد ـ أي أنت عبد ـ بذر الله الإيمان في قلبه » ، قال : ادع الله لي بالشهادة ، فدعا له رسول الله ﷺ بذلك[1] .

وبلغ أُمه وأخته وهما بالمدينة مقتله ، فقالت أُمه : والله لا أبكي عليه حتى يقدم رسول الله ﷺ فأسأله . وفي المدينة بعد عودته ﷺ جاءت أُمُّ حارثة ـ وهي عمة أنس بن مالك ـ وقالت : يا رسول الله حدثني عن حارثة ، فإن يكن في الجنة لم أبكِ عليه ، ولكن أحزن[2] ، وإن يكن في النار بكيت ماعشت في دار الدنيا ، وفي رواية : إن يكن في الجنة لم أبكِ ، صبرت . وإن يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ، فقال ﷺ : « ويحك ، أَوَهبلت ، أجنة واحدة ، ياأُم

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٧٢ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ١/٩٠ .

(٢) أحزن على فراقه في هذه الدنيا .

حارثة ؟! إنها ليست بجنة ، ولكنها جنات ، والـذي نفسي بيـده ، إنـه لفي الفردوس الأعلى » فرجعت وهي تضحـك ، وتقول : بخ بـخ لـك يا حارثة[1] .

☆ ☆ ☆

وخرج رسـول الله ﷺ إلى النـاس فحرَّضهم ، وقـال : « والـذي نفس محمد بيـده ، لا يقـاتلهم اليوم رجل فيقتل صـابراً محتسبـاً ، مقبلاً غير مـدبر ، إلا أدخلـه الله الجنـة » . فقـال عمير بن الحُمَـام أخـو بني سلمة - وفي يده تمرات يأكلهن - : بخ بخ[2] .

فقال ﷺ : لِمَ تبخبخ[3] ؟!

فقـال : رجـاء أن أكـون من أهلهـا ، فـأخـذ تمرات يلـوكهن ، ثم قـال : والله إن بقيت حتى ألـوكهن ، وفي لفـظ : إن حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنهـا لحيـاة طويلـة ، فمـا بيني وبين أن أدخل الجنـة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات ونبذهن من يده . وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتِل وهو ينشد :

ركضـــاً إلى الله بغير زاد إلاّ التُّقى وعمـل المعـــاد

---

(١) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٧٢ .

(٢) كلمة تقال في حالة الإعجاب ، ولتعظيم الأمر .

(٣) أي مِمَّ تتعجَّب .

والصبر في الله على الجهــــاد وكل زاد عرضـــة النفـــاد
غير التقى والبر والرشاد

وقال عوف بن الحارث : يـا رسول الله ، مـايضحـك[1] الرب من عبده ؟

قال ﷺ : «غمسه يده في العدو حاسراً » ، أي لا درع لـه ، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل .

وأقبل أبـو جهـل فقـال : يـا معشر النـاس ، لا يهـولنكم خـذلان سراقة بن مالـك[2] ، فـإنـه كان على ميعـاد من محمـد ، ولا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد ، فإنهم قـد عجلوا ، فواللات والعزّى لا نرجع حتى نفرقهم بـالجبـال ، فـلا أُلفينَّ رجـلاً منكم قتـل رجـلاً ، ولكن خـذوهم أخـذاً ، حتى تعرّفوهم سـوء صنيعهم من مفـارقتهم إيـاكم ، ورغبتهم عن اللات والعزى ، ثم قال أبو جهل :

مـاتنقمُ الحربُ الشموسُ[3] مني بازلُ[4] عامينِ حـديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمي

---

(١) أي يرضيه غاية الرضا ، كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة ، وإظهار البِشْر .
(٢) انسحابه من جيش قريش عندما التقى الجمعان .
(٣) وفي رواية : « الحرب العوان » جمع عون : الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .
(٤) البازل من الإبل : الذي خرج سنه ، فهو في ذلك يصل إلى ذروة مرحلة الشباب .

وقال أيضاً : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحنه ـ أهلكه ـ الغداة . فكان هو المستفتح المبتدئ لنفسه .

وقاتل رسول الله ﷺ بنفسه قتالاً شديداً ، وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قال عليٌّ رضي الله عنه : (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ، كنا إذا حمي البأس ، ولقينا القوم ، اتقينا برسول الله ﷺ)[1] .

ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء ، فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : « شاهت الوجوه » ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شدُّوا » ، فكانت هزيمة قريش .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ﴿ أَمْ يقولونَ نحنُ جميعٌ مُنْتَصِر ، سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر ، بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾[2] ، نزلت بمكة ، عمر : لما نزلت هذه الآية قلت : أي جمع ؟! فلما كان بدر ، وانهزمت قريش ، نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم بالسيف مُصَلِّتاً يقول : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . فكانت ليوم بدر .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٧٩ .

(٢) سورة القمر ، الآية الشريفة : ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ .

وتقــدَّم المسلمـون بعــد أن جعلــوا أهــدافهم رؤوس الكفر ، وهم يهتفون : يـامنصـور أمت أَمت . وهبت ريـاح الجنـة طيبـة نـديَّـة ، فهـانت الحيـاة ، ولـذت الشهـادة في سبيـل الله ، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين ، فألقوا بـأثقـالهم وفرّوا من المعركـة نـاجين بـأنفسهم ، وهكـذا صـدَّعت قلـة المؤمنين بعقيـدة سليمـة قـويـة ، صفـوف الشرك وهـزمت سـلاحـه وعتـاده واستعـداداتـه ، وقتلت صنـاديـد قريش ، وأسرت من أَسرت من أشرافهم .

ولمـا وضع القوم أيـديهم يـأسرون ورسـول الله ﷺ في العريش ، وسعـد بن معـاذ قـائم على بـاب العريش الـذي فيـه رسـول الله ﷺ ، متوشح السيف في نفر من الأنصـار يحرسـون رسـول الله ﷺ يخـافـون عليه كرَّة العدو ، رأى ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهيـة ممـا يصنع الناس ، فقال له رسول الله ﷺ : والله لكأنك يـاسعـد تكره مـا يصنع القوم ؟! قـال : أجل والله يـارسـول الله ، كانت أول وقعـة أوقعهـا الله بـأهـل الشرك ، فكان الإثخـان في القتـل بـأهـل الشرك أحب إلي من استبقاء الرجال[1] .

وقـال ﷺ : إني قـد عرفت أن رجـالاً من بني هـاشم وغيرهم قـد أُخرجوا كرهاً ، ولاحاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٨٤ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٤٩ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٠ / ١ .

فلايقتله ـ أي يأسره بدل قتله ـ ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلايقتله ، فإنه إنما أُخرج مستكرهاً ، فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وأخواتنا وعشيرتنا ، ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألجمنه[1] بالسيف ، فبلغت مقولته رسول الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : ياأبا حفص ، [قال عمر : والله إنه لأوّل يوم كنّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص] ، أَيُضْرَبُ وجه عم رسول الله بالسيف[2] ؟! فقال عمر : يارسول الله ، دعني فلأضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ماأنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولاأزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ، فاستشهد يوم اليمامة .

ونهى ﷺ عن قتل أبي البختري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب . وهذا وفاء من النبي ﷺ .

قال المُجَذَّر بن ذياد البَلَويّ لأبي البختري ، العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، عندما لقيه : إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك .

---

(١) وفي رواية (لألحمَنَّهُ) كما في الاكتفاء ، جـ ٢ ص ٩٠ .

(٢) النبي وكبار الصحابة يعلمون أن العباس مسلم ، ولكنه مقيم بمكة .. ولنا عودة في الصفحات القادمة لتوضيح ذلك .

وكان مع أبي البختري زميل[1] له قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مُليحة بنت زهير بن الحارث بن أسد .

قال أبو البختري : وزميلي ؟

فقال له المجذّر : لا والله ، مانحن بتاركي زميلك ، ماأمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك .

البختري : لا والله ، إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ، لاتتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة ، وقال حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال يرتجز :

لَنْ يُسلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَهُ[2] حتى يموتَ أو يرى سَبيلَهُ

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذياد ، وقال في قتله أبا البختري :

إمّا جهلتَ أو نسيتَ نَسَبي فأثْبتِ النسبةَ إني من بَلي
الطاعنينَ برماح اليَزَني والضاربينَ[3] الكبشَ[4] حتى ينحني

---

(١) الزّميل : من يزامله معه على بعير واحد ، وعلى هامش ص ٩٠ جـ ١ / ب في (الاكتفاء) : الزميل : الرديف واسمه جُنادة بن مُلَيْحة .

(٢) وفي رواية : (لن يترك ابن حُرَّةٍ أكيلَهُ) ، والأكيل : الذي يؤاكلك (مختار الصحاح ، ص ٢٠) .

(٣) وفي رواية : والطاعنين .

(٤) وفي الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٠ / ب : كبش القوم : سيدهم (هامش الصفحة المذكورة) .

بَشِّر بيتم من أبــــوه البختري أو بَشِّرنْ بمثلهــــــا مني بني
أنـا الــذي يقــال أَصلي من بلي أَطْعَنُ بـالصعــدةِ[1] حتى تنثني
وأَعبِطُ[2] القِرْنَ بِعَضْبٍ[3] مَشْرَفي أَرْزُمُ[4] للمـــوتِ كإرْزام المِري[5]
فلاترى مجذّراً يفري فري[6]

ثم إن المجذّر أتى رسول الله ﷺ ، فقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأَبى إلا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتلته .

وكان مع المشركين في بدر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة ، أو عبد العزّى ، وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية . وكان أسن ولد أبيه ، وكان صالحاً وفيه دعابة ، فلما أسلم قال لأَبيه : لقد أهدفت لي ـ ارتفعت لي ـ يوم بدر مراراً فصدفت عنك ـ أعرضت عنك ـ ، فقال أبو بكر : لو هدفت لي ماأَصدف عنك .

---

(١) الصعدة في الأَصل عصا الرمح ، وقد أطلق هنا على الرمح صعدة .
(٢) أعبط : أقتل . وعلى هامش ص ٩٠ / ب جـ ١ « الاكتفاء » : أعبطت الناقة : ذبحتها .
(٣) العضب : السيف القاطع .
(٤) أرزم : أحن .
(٥) المري : الناقة التي يستنزل لبنها على عسر .
(٦) فري : عمل عملاً أتى فيه بأمر عجيب .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : مررت بأُمية بن خلف يوم بدر وهو واقف مع ابنه علي بن أُمية آخذ بيده ، ومعي أدراع قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلما رآني قال لي : هل لك فيَّ : فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قلت : نعم ، هاالله ذا[1]، قال : فطرحت الأدراع من يدي ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن[2] ؟ قال عبد الرحمن : ثم خرجت أمشي بهما .

قال أُمية بن خلف يسأل عبد الرحمن بن عوف : من الرجل منكم ، المعلَّم بريشة نعامة في صدره ؟!؟

عبد الرحمن : ذاك حمزة بن عبد المطلب .

أُمية : ذاك الذي فعل بنا الأَفاعيل .

عبد الرحمن : فوالله إني لأَقودهما إذ رآه بِلاَلٌ معي ، وكان هو الذي يعذِّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لاتزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال :

---

(١) ها : حرف تنبيه ، وذا : اسم إشارة يشير به إلى نفسه .

(٢) يريد باللبن : أن من أسرني افتدِيت منه بإبل كثيرة اللبن .

أَحَدٌ .. أَحَدٌ .. فلما رآه قال : رأس الكفر أُميـة بن خلف ، لانجوت إن نجا .

عبد الرحمن : أي بلال ، أَبأَسيري ؟!؟

بلال : لا نجوت إن نجا .

عبد الرحمن : أتسمع يا بن السوداء ؟!

بلال : لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوتـه : يـا أَنصـار الله ، رأس الكفر أُمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا .

يقول عبـد الرحمن : فـأحـاطوا بنـا حتى جعلونـا في مثل المسكـة (الحلقـة) ، وأنـا أذب عنـه ، فسل رجل السيف ، فضرب رجـل ابنـه فوقع ، وصاح أُمية صيحـة مـا سمعت مثلهـا قـط . وقـال عبـد الرحمن لأُمية : انج بنفسك ، ولا نجاء بك ، فوالله ما أُغني عنك شيئاً .

ويقول عبد الرحمن : فهبَّروهما بأسيـافهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبـــد الرحمن يقــول : يرحم الله بــلالاً ، ذهبت أدراعي ، وفجعني بأسيريّ[1] .

وفي بـدر قتل أبو عبيـدة بن الجراح أبـاه وكان مشركاً ، فـإن أبـاه

(١) ابن هشـام ، جـ ٢ ص ١٩٩ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٥١ ، البـدايـة والنهـايـة ، جـ ٣ ص ٢٨٥ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ٩١/١ .





جزء من أرض المعركة ، وفي الأفُق يبدو جبل الملائكة

قصده ليقتله فوّلى عنه ، وأبو عبيدة لينكف[1] عنـه ، فلم ينكف عنـه ، فرجع عليه وقتله : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بـالله واليوم الآخر يُوَادّون من حَـادَّ اللهَ ورسـولَـهُ ولـو كانـوا آبـاءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشيرتهم[2] ﴾ .

وقـال رسول الله ﷺ : « من لـه علم بنـوفـل بن خـويلـد ؟ » ، فقال علي رضي الله عنه : أنا قتلته ، فكبَّر رسول الله وقال : « الحمـد لله الذي أجاب دعوتي فيه » ، لأنه لما التقى الصفـان ، نـادى نوفل بصوت رفيـع : يـا معشر قريش ، اليـوم يـوم الرفعـة والعـلاء ، فقـال ﷺ : « اللهم اكفني نوفل بن خويلد » .

☆ ☆ ☆

هل شهدت الملائكة معركة بدر ؟ :

يشعر المسلم مهما كانت ثقافته الدينية والدنيوية بطمأنينـة تـامـة ، ويقين كامـل بـأن القرآن الكريم وحي الله على قلب المصطفى ﷺ ، لا تبديل ولا تحريف فيه على مدى القرون : ﴿ إنـا نحن نزَّلنـا الـذِكرَ وإنّا له لحافظون ﴾[3] .

(١) النكف : العدول ، مختار الصحاح ، ص ٦٧٩ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية الكريمة : ٢٢ .

(٣) سورة الحجر ، الآية الكريمة : ٩ .

المسلم الدارس المطّلع يشعر بهذه الطمأنينة يقيناً كاملاً .
المسلم العادي يشعر بهذه الطمأنينة بلاشك ولا ريب .
المسلم الأُمي يشعر بهذه الطمأنينة واقعاً لا يقترب منه شك .
فالكل على يقين : ﴿ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفِهِ تنزيل من حكيم حميد ﴾[1] .

وهذا اليقين بسلامة النص القرآني ، وبخاصة بعد أن أصبح نقد النصوص علماً عالمياً ، يعطي المسلم « طمأنينة » كاملة ، وانسجاماً روحياً تاماً في ذاته ، لا صراع في فكره ونفسه مع نصوص كتابه المقدّس ، أهي صحيحة لا ريب فيها ، أمْ بعضها صحيح والآخر لا !! وأين الصواب من غيره خلالها ؟!!

هذا الصراع .. الصراع العنيف في غالب الأحيان بسبب أهمية الأمر ، هو تقرير سلوك في الحياة ، وتقرير منهج إلى الآخرة . هذا الصراع .. لانجده عند المسلم مطلقاً ؛ لأن نصّ القرآن الكريم الذي كُتِب فور نزوله على قلب النبي ﷺ ، والذي كان يراجعه جبريل معه في كل رمضان من كل سنة ، لم يتغيّر في نصّه حرف واحد[2] من

---

(١) سورة فصلت ، الآية الكريمة : ٤٢ .

(٢) وبحث الدكتور رشاد خليفة (عليها تسعة عشر ، الإعجاز العددي في القرآن الكريم) معجزة مادية جديدة ، ودليل قاطع على دقة النص القرآني ، حتى في كيفية رسم حروفه .

ناحية ، ومن ناحية ثانية بعد أن أجرى المسلمون وغيرهم مقابلة نصوصه بحقائق العلم الحديثة ، وجدوا اتفاقاً تاماً بين معطياته وهذه الحقائق على كثرتها فيه .

وهنا أُلمح إلى أن نص الكتب المقدسة التي أنزلها الله عز وجل لا تناقض ، ولا مخالفة لحقائق العلم فيها ، وتقع مسؤولية التناقض الموجود اليوم في الكتب المقدسة (غير القرآن) على البشر أَنفسهم : (ولا يستطيع أحد أن يقول : كيف كانت النصوص الأَصلية ؟ وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها ؟ أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص ؟ أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التي أُدخلت على الكتب المقدسة ؟) .

ويكفينا خطأ واحد ، أو تناقض واحد ، في كتاب يقال عنه : إنه مُنْزَل ، لإثارة الشكوك حول مضمونه كله ، وينتهي عندها ذلك الانسجام الفكري ، والقناعة الكلية ، ليبدأ صراع في النفس عميق : أين الصحيح من الخطأ ؟! وأين الوحي ، وأين إضافات البشر وتحريفاتُهم ؟! ومثال ذلك : من يقبل علمياً ، أن الإنسان ظهر على سطح هذه الأرض منذ ٥٧٤٢ سنة فقط ، كما يقول سفر التكوين ؟؟!

(الطمأنينة) إلى سلامة النص القرآني ، وعدم تغيير حرف فيه على مدى السنين ، حقيقة ، جاءتها مؤيدات كثيرة ، زادت الطمأنينةَ

رسوخاً ، وزادت الانسجامَ الروحي صفاء وعمقاً ، وأضافت إلى الفكر وعياً وأبعاداً وثقة .

من هذه المؤيدات اللفتات الكونية والطبيعية والطبية والتاريخية .. في القرآن الكريم ، حيث أثبتها العلم الحديث على أنها حقائق نزلت على المصطفى منذ أربعة عشر قرناً ، فهي معجزات خالدة تثبت وتدعم هذه (الطمأنينة) في قلب المسلم ، وتزيد في يقينه ، وفي انسجامه الفكري مع عقيدته ، وترفع بذلك دعائم بناء شامخ في القلب والفكر معاً ، على أن محمداً الأُمي ، حقاً وصدقاً رسول الله ، والقرآن من عند الله .

ولم ولا ولن يقدم العلمُ حقيقة ثابتة ، ويجد إنسان في القرآن الكريم ما ينافيها أو يناقضها ، الحقائق العلمية إن لم نجد في القرآن ما يؤيدها ويثبتها ، لن نجد فيه ما يعارضها قطعاً ، إنه : (حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء . ولا يَخلَقُ على كثرة الرد ، لا تنقضي عجائِبُهُ ..) .

هذه (الطمأنينة) إلى سلامة النص ، التي أكدها وقررها وثوق المسلم من كتابه المقدّس بسبب عدم تحريفه أو تناقضه ، كانت موضع دراسة الدكتور موريس بوكاي ، فقدّم كتابه : [القرآن الكريم

والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة] . يقول الدكتور بوكاي : (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق . وبموضوعية تامة ، باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنصّ العربي ، استطعت أن أُحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث) .

ويقول في الصفحة ٢٤٦ : (صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ، ولا العهد الجديد) . وطالب الدكتور بوكاي : (بحتمية دراسة الأمور العلمية والتاريخية الواردة في « الكتب المقدسة » على ضوء القرآن الكريم فقط دون سواه ، فهو وحده لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث) .

هذا اليقين بدقة وصحة القرآن الكريم من حيث النص ، وبالتالي ما فيه من الحقائق العلمية والتاريخية .. هو الذي قرر طمأنينة المسلم إلى

صحة عقيدته ، وإلى نزوح كل شك أو ريب أو صراع نفسي ، وهذه نعمة لا تقدَّر بثمن ، إنها مِنَّة الله على المسلمين . وهذا يمتاز به المسلم المثقف في عصرنا ، عصر المعطيات العلمية العديدة .

وهكذا .. فإن القارئ لأي كتاب ، يحتوي على أفكار أو حوادث أو نظريات .. فإنه تتناوبه مؤثرات عديدة عن صحة ما يقرأ ، فهو تراه يقرأ في هذه الحالة للاطلاع فحسب ، أَمْ للاستزادة العلمية ، أَمْ يقرأ للنقد ، أَمْ للتسلية .. مع يقينه بأن ما يقرأ هو من صنع بشر مثله .

أما عندما يقرأ القرآن الكريم فإن الأمر يختلف كلياً ، وتزول هذه المؤثرات العديدة ، ليحل مكانها الاطمئنان الشامل العميم لصحة النصّ وسلامته ، ودقة علومه ، وإنه قُبَالة كلام الله عز وجل .

وعلى ذلك نقول : إن كل ماجاء في القرآن الكريم حق وصدق ، لاريب فيه .. وجواباً لسؤالنا : (هل شهدت الملائكة معركة بدر ؟) نعم .. نصر الله المسلمين بجند من لدنه ، وبروح منه :

﴿ إذ تستغيثُونَ رَبَّكُم فاستجاب لكم أَنّي مُمِدُّكُم بألفٍ مِنَ الملائكةِ مُرْدِفين ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٩ . ومردفين : متتابعين ، أو ردفاً لكم : مدداً لكم ، أو وراء كل مَلَك آخر .

﴿ إذ يوحي رَبُّكَ إلى الملائكةِ أنّي معكم ، فَثَبِّتُوا الذينَ آمنوا ، سَأُلقي في قلوبِ الذين كفروا الرُّعْبَ فاضرِبُوا فوقَ الأعناقِ واضرِبُوا منهم كُلَّ بَنَان ﴾[1] .

﴿ ولقد نصَرَكُمُ اللهُ ببدرٍ وأنتم أَذِلَّةٌ فاتقوا اللهَ لعلَّكُم تشكرون ، إذ تَقُولُ للمؤمنين أَلَنْ يكفيكم أن يُمدَّكم رَبُّكُم بثلاثَةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلِين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فَورِهم هذا يُمْدِدكُم رَبُّكُم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسَوِّمين ﴾[2] .

وهذه الحقيقة لمسها المسلمون في حينها ، ولمستها قريش أيضاً ، فلو كان في الأمر أدنى شك لتساءل المسلمون عن الحقيقة ، ولاستغلت قريش الأمر إعلامياً بين القبائل ضد المسلمين .

قال أبو داود المازني وكان ممن شهد بدراً : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري[3] .

وقال أبو أُسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ـ وقد ذهب

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ١٢ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات : ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ ، وقيل : إن الآيتين الأخيرتين نزلتا بحق أُحُد ، وبذلك ـ كما قال الإمام النووي ـ إن قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر .

(٣) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٥٣ .

بصره ـ : لـو كنت اليـوم ببـدر ومعي بصري لأريتكم الشِعْبَ الـذي خرجت منه الملائكة . لا أشك فيه ولا أتمارى[1] .

وقال جبير بن مطعم : رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد[2] الأسود مبثوث حتى امتلأ الوادي ، فلم أشك أنها الملائكة ، فلم يكن إلا هزيمة القوم[3] .

وقال عبد الرحمن بن عباس : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حُنين عمائم حُمْراً .

وقال علي رضي الله عنه : العمائم تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء[4] .

وفي مكة ، سأل أبو لهب أبا سفيان بن الحارث عند وصوله ـ وكان مع قريش ـ عن خبر بدر ، وما الذي حدث حتى هُزمت قريش ؟! فقال : والله ماهو إلا أن لقينا القوم ، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويَأسروننا كيف شاؤوا ، وايمُ الله

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٨٠ .

(٢) البِجَاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، لسان العرب ، جـ ٣ ص ٧٧ .

(٣) السيرة الحلبية ، جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٤) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٥٤ .

مالمتَ الناسَ ، لقينا رجـال بيض على خيل بلق[1] بين السماء والأرض ، ما يقوم لها شيء ، فقال أبو رافع مولى العبـاس : والله تلـك الملائكـة ، فرفع أبو لهب يده وضرب وجه أبي رافع ضربة شديدة[2] .

لقد كان الملائكـة شركاء للمسلمين في بعض الفعل ، ليبقى وليكون الفعل منسوباً للنبي ﷺ ولأصحابه ، وإلا فجبريل وحده كاف .

جـاء جبريـل إلى رسـول الله ﷺ فقـال : مـا تعـدُّون أهـل بـدر فيكم ؟ فقال : من أفضل المسلمين ، فقال جبريل : وكـذلـك من شهـد بدراً من الملائكة[3] ؛ فـأهل بـدر خير أهل الأرض ، وكـذلـك الملائكـة الذين شهدوا بدراً خير أهل السماء .

☆ ☆ ☆

مصرع أبي جهل :

جعل رسول الله ﷺ شعـار المهـاجرين يـوم بـدر : يـا بني عبـد الرحمن .

وشعار الخزرج الأنصار : يا بني عبد الله .

وشعار الأوس الأنصار : يابني عبيد الله .

---

(١) البَلَق : سواد وبياض ، وكذا البُلْقَة ، يقال فَرَسٌ أَبْلق ، [مختار الصحاح ، ص : ٦٤] .

(٢) ستمر الحادثة مفصّلة في الصفحات التالية .

(٣) رواه البخاري .

وسمّى خيله ﷺ : خيل الله .

لقد هزم جند الله المشركين ، تحت شعار : أَحَدٌ ، أَحَـدٌ ، وجعلوا أهدافهم رؤوس الكفر وهم يهتفون : يامنصورُ أَمِتْ أَمِتْ ..

وأمر رسـول الله ﷺ بـأبي جهـل أن يلتمس في القتلى ، وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح .

يقول معاذ : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة[1] .. لقـد كان وسط غابة من الرماح أقامها رجـالـه حولـه .. وهم يقولون : أبو الحكم لايخلص إليـه ، فلمـا سمعتهـا جعلتـه من شـأني ، فصمـدت نحوه ، فلمّـا أمكنني حملت عليه ، فضربته ضربة أطنت قـدمـه ، أطـارتهـا ، بنصف ساقه ، فوالله ماشبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النـوى حين يضرب بهـا[2] . وضربني ابنـه عكرمـة على عـاتقي ، فطرح يـدي ، فتعلَّقت بجلـدة من جنبي ، وأجهضني[3] القتـال عنــه . فلقــد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبهـا خلفي ، فلمـا آذتني وضعت عليهـا قدمي ، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها[4] .

---

(١) الحرجة : الشجر الملتف ، سأل عمر بن الخطـاب أعرابياً عن الحرجـة : فقـال : هي شجرة من الأشجار لايوصل إليها .

(٢) مرضخة النوى : التي يدق بها النوى .

(٣) أجهضني : غلبني .

(٤) قال ابن إسحق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ٩١ / ١ .

ثم مرَّ بأبي جهل وهو عقير ، مُعَوَّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمق ، وقاتل معوّذ حتى قتل ، فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله : انظروا - إن خفي عليكم في القتلى - إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلمان ، وكنت أسن منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبته ، فجحش[1] في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به .

قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه ، وقد كان ضبث[2] بي مرة بمكة فآذاني ولكزني[3] ، ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ أعمد من رجل قتلتموه[4] ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قلت : لله ولرسوله .

وقال أبو جهل : لقد ارتقيت مرتقىً صعباً ياروَيعي الغنم ، ثم احتز ابن مسعود رأسه وهو يقول : صدقت رؤياي لأطأنّ رقبتك

---

(١) جُحِشَ : خُدِشَ ، لسان العرب ، جـ ٦ ص ٢٧٠ ، الفيروزأبادي (القاموس المحيط) ، جـ ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) ضَبَثَ : بالشيء ، قبض عليه بكفه ، وفي الحديث : « الخطايا بين أضباثهم » أي في قبضاتهم ، (مختار الصحاح ، ص ٣٧٦) .

(٣) اللَّكْز : الضَّرب بالجُمْع على الصَّدْر ، وقيل : الضرب في جميع الجسد ، (مختار الصحاح ، ص ٦٠٣) .

(٤) أي ليس عليَّ عار ، فلن أبعد أن أكون رجلاً قتله قومه .

ولأذبحنك ذبح الشاة . وجاء به إلى رسول الله وقال : يارسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال رسول الله ﷺ : « آلله الذي لاإله غيره » ؟! قال ابن مسعود : والله الذي لاإله غيره ، وألقى رأس أبي جهل بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، وسجد شكراً لله ، وقال : « الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .. إن لكل أُمة فرعوناً ، وإن فرعون هذه الأُمة أبو جهل »[1] .

وأبو جهل فرعون هذه الأُمة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الأُمم ، إذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال : آمنت ، إنه لاإله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وفرعون هذه الأُمة ازداد عداوة وكفراً .

☆ ☆ ☆

حديث عكاشة بن محصن[2] :

قُطِعَ سيفه يوم بدر ، فأتى رسول الله ﷺ ، فأعطاه جذلاً[3] من

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٨٩ . ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسدي ، كان من سادات الصحابة وفضلائهم ، هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاء حسناً ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وبشَّرَهُ رسول الله ﷺ أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب ، قتل في قتال أهل الردّة في خلافة أبي بكر ، قتله طليحة بن خُوَيلد الأسدي الذي ادعى النبوة . وكان عكّاشة يوم توفي النبي ﷺ ابن أربع وأربعين سنة ، وكان من أجمل الرجال . (أُسد الغابة .. ، جـ ٤ ص ٦٧) .

(٣) هذا ماورد في ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٠٢ . وفي أُسد الغابة : فأعطاه رسول الله ﷺ عُرْجُوناً أو عوداً ، فعاد في يده سيفاً يومئذ شديد المتن ، أبيض الحديدة . والجذل : أصل الشجرة .

حطب ، فعاد في يده سيفاً يومئذ شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ ، حتى قتل في الردّة وهو عنده ، وكان ذلك السيف يسمى (العَوْن)[1] .

وعكّاشة هو الذي قال لرسول الله ﷺ عندما قال : يدخل الجنة سبعون ألفاً من أُمتي على صورة القمر ليلة البدر ، قال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : إنك منهم . فقال رجل من الأنصار : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال ﷺ : « سبقك بها عكّاشة ، وبردت[2] الدعوة » .

وقال رسول الله ﷺ : « مِنّا خير فارسٍ في العرب » ، قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال ﷺ : « عُكَّاشة بن محصن » .

☆ ☆ ☆

---

(١) النملة التي تسير أمتاراً ، وتمتلك حبات من القمح معدودات ، إن قالت إن الدنيا كلها هي هذه المساحة التي تسعى فيها ، وثروة العالم هي هذه الحبات التي تمتلكها ، وأنكرت مساحة الأرض وسعتها ، وأنكرت ورفضت ثروات العالم بملياراته وذهبه وجواهره .. كالذي ينكر وجود قوانين أخرى لله وحده .

هنالك قانون خاص مفروض علينا لانملك تغييره ، وسعينا وعملنا ضمنه وفي حدوده .

وهنالك قانون عام لله وحده ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، وخرق القانون الخاص المفروض علينا ، هو مايُسَمّى (المعجزة) ، أو (الكرامة) .

(٢) بردت الدعوة : ثبتت .

وأمر رسول الله بالقتلى أن يطرحوا في القَلِيب ، فطرحوا فيه ، إلا ماكان من أُمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه ، فأقروه وألقوا عليه ماغيَّبه من التراب والحجارة . فلما ألقاهم في القَلِيب ، وقف عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « ياأهل القَلِيب ، ياعتبة بن ربيعة ، ياشيبة بن ربيعة ، ياأبا جهل بن هشام .. بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ماوعدني ربي حقاً »[١] .

فقال له الصحابة : يارسول الله أتكلم قوماً موتى ، أتنادي قوماً قد جيفوا ؟

فقال لهم ﷺ : « لقد علموا أن ماوعدهم ربهم حقاً ، ماأنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبوني » .

يقول عز وجل في محكم التنزيل : ﴿ إنَّك لاتُسْمِعُ الموتى ولاتُسْمِعُ الصُمَّ الدُّعَاء إذا ولَّوا مُدْبِرين ﴾[٢]، فكيف خاطب النبي ﷺ قتلى القَلِيب ، وكيف سمعوا ؟!!

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) سورة النمل ، الآية الكريمة : ٨٠ .

إن المراد بـالآيـة الكريمة : إنـك لاتسمع المـوتى سماع قبـول . أمـا الروح بعد مفارقة الجسد ، لها صلة بـه ، وبواسطـة تلـك الصلـة يعرف الميت من يزوره ، ويأنس به .

ولمـا سُحِب عتبـة بن ربيعــة إلى القَلِيب نظر رسـول الله ﷺ في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغيَّر لونه ، فقال : ياأبـا حـذيفـة ، لعلـك قـد دخلـك من شـأن أبيـك شيء ؟ فقـال : لا والله يـارسـول الله ، مـاشككت في أبي ولافي مصرعـه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهـديـه ذلـك إلى الإسلام ، فلما رأيت ماأصابه ، وذكرت مامات عليه من الكفر ، بعد الـذي كنت أرجو لـه ، أحزنني ذلـك ، فـدعـا لـه رسـول الله ﷺ بخير ، وقـال لـه خيراً[1] .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالفيء فجمع . وبعث عبد الله بن رواحـة بشيراً إلى أهل العـاليـة من المـدينـة المنورة ، بمـافتح الله عز وجـل على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثـة إلى أهل السـافلـة . قـال أُسَامة بن زيد : فأتانـا الخبر حين سوينـا التراب على رقيـة ابنـة رسول الله ﷺ التي كانت عنـد عثمان بن عفـان ، كان رسـول الله ﷺ خلفني

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص : ٢٠٥ ، البداية والنهايـة ، جـ ٣ ص ٢٩٤ . الطبري ، جـ ٢ ص ٤٥٦ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٢ / ١ .

عليها مع عثمان ، فجئت زيداً وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختري العاص بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، قال أسامة بن زيد لأبيه زيد بن حارثة : ياأبتِ ، أحق هذا ؟ قال : نعم ، والله يابني[1] .

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٠٧ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٢ / ١ .

مابعد بدر

☆ (كان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة لايكتبون ، فمن لم يكن له فداء دُفِعَ إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلّمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه) .

ابن سعد : ٢ / ٢٢

أ ـ المسلمون المنتصرون في المدينة المنورة :

أَقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة المنورة ، ومعه الأَسارى من المشركين ، وفيهم عقبة بن أَبي معيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل معه ﷺ النفل الذي أُصيب من المشركين ، وجعل عليه عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف[1] . ثم ارتحل ﷺ حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم مسلمة بن سلامة : ماالذي تهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي ، أولئك الملأ »[2] .

---

(١) ولنا حديث مفصّل عن (الأنفال) في الصفحات القادمة .

(٢) أولئك الملأ : الأشراف والرؤساء .

وبالصفراء أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب .

وبعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط ، فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : أتقتلني يامحمد من بين قريش ، فمن للصبية يامحمد ؟ قال ﷺ : « النار ، أتدرون ماصنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ ستندران[1] ، وجاء مرة أُخرى بسلى[2] شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » .

والذي قتل عقبة عاصمُ بن ثابت الأَنصاري ، ولما أَقبل إليه عاصم قال : يامعشر قريش علام أُقتل من بين مَنْ ههنا ؟ فقال عاصم : على عداوتك الله ورسوله .

كان النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من شر الخلق وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله . قالت قتيلة بنت

---

(١) نَدَر : سقط ، (مختار الصحاح ، ص : ٦٥٢) .

(٢) في لسان العرب ، جـ ١٤ ص ٣٩٦ و٣٩٧ : (وفي الحديث : أن المشركين جاؤوا بسلى جزور فطرحوه على النبي ﷺ وهو يصلي ، قيل في تفسيره : السّلى الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أُمّه ملفوفاً فيه ، وقيل : هو في الماشية السّلى ، وفي الناس المَشيمة .. ويقال للأَمْر إذا فات : قد انقطع السّلَى ، يضرب مثلاً للأمر يفوت وينقطع) .

الحارث أخت النضر في مقتل أخيها :

ياراكباً إن الأُثَيلَ[1] مظنَّةٌ	من صُبح خامسةٍ وأنتَ موفَّق
أبلغْ بها مَيْتاً بأنّ تحيةً	ماإن تزالَ بها النجائبُ[2] تخفق
مني إليكَ وعبرةً مسفوحةً	جادتْ بوابلها[3] وأخرى تخنق
هل يسمعنّ النضرُ إن ناديتُه	أم كيفَ يسمع ميّتٌ لاينطق
أمحمد ياخيرَ ضنء كريمةٍ	من قومِها[4] ، والفَحلُ فحلٌ معرق
ماكان ضَرَّكَ لو مننت وربما	مَنَّ الفتى وهو المَغيظُ المحنق
أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلينفِقن	بأعزّ مايغلو به ماينفق
والنضرُ أقربُ من أسرتَ قرابةً	وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يعتق
ظلَّتْ سيوفُ بني أبيه تنوشُه[5]	لله أرحامٌ هنالك تُشْقَق

(١) الأُثَيل : منبت الأراك ، والأُثَيل : موضع قرب المدينة وبه عين ماء . والأَثْلُ : شجر يشبه الطَّرْفاء ، إلا أنه أعظَم منه وأكرم وأجود ، تسوّى به الأقداح الصُّفْر الجياد ، ومنه اتخذ منبر سيدنا محمد رسول الله .. ولسمو الأثلة واستوائها وحسن اعتدالها شبَّه الشعراء المرأة إذا تم قوامها واستوى خَلْقها بها . لسان العرب ، جـ ١١ ص ١٠ .

(٢) النجيب من الإبل وجمعه (نُجُب) و (نجائب) : هي عتاقها التي يُسابَق عليها ، (مختار الصحاح ، ص : ٦٤٦) .

(٣) الوابل : المطر الشديد ، « مختار الصحاح ، ص ٧٠٧ » .

(٤) في السيرة الحلبية :

أمحمد ولأنت ضنء نجيبة ... في قومها ، والفحل فحل معرق

أي له عرق في الكرم ، والضنء : الولد .

(٥) التناوش : التناول ، (مختار الصحاح ، ص : ٦٨٥) .

صبراً يُقــادُ إلى المنِيّــةِ متعَبــا   رسفَ المقيَّدِ[1] وهو عانٍ[2] موثق

قـال ﷺ لمـا بلغـه هـذا الشعر : « لو بلغني هـذا قبل قتلـه لمننت عليه[3] » .

وقدم رسول الله ﷺ المـدينـة المنورة ، قبل الأسـارى بيوم ، ولمـا دخل الأسرى المـدينـة ، فرقهم بين أصحـابـه وقـال ﷺ : « استوصـوا بـالأسرى خيراً » . وكان أبو عزيز بن عمير بن هشـام أخـو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى ، قال أبو عزيز : « مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ، فإن أُمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، وقال : كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قـدموا غـداءهم وعشـاءهم خصوني بـالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ماتقع في يـد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها ، فأستحيي فأردها على أحدهم ، فيردها عليّ مايمسها .

وكان أبو عزيز صـاحب لواء المشركين ببـدر بعض الـوقت ، فلمـا

---

(١) رسف المقيد : الرَّسْفُ والرَّسيفُ والرَّسَفـان : مَشْيُ المُقَيَّـد إذا جاء يتحامل برجله مع القَيْـد . لسان العرب ، جـ ٩ ص ١١٨ و١١٩ .

(٢) عنا فلان فيهم أسيراً ، أقام على إساره فهو (عَانٍ) ، (مختار الصحاح ، ص : ٤٥٩) .

(٣) البــدايــة والنهــايــة ، جـ ٣ ص ٣٠٦ ، السيرة الحلبيــة ، جـ ٢ ص ١٩٧ ، الاكتفــاء ، جـ ١ ص ٩٢ / ب ، (أقضيـة رسـول الله ﷺ) لأبي عبـد الله محمـد بن فرج المـالكي القرطبي ، ص ٣٦ .

قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر ـ وهو الأنصاري الذي أسره ـ ماقال ، قال له أبو عزيز : ياأخي ، هذه وصاتك بي ؟! فقال له مصعب : إنه أخي دونك . فسألت أمه عن أغلى مافدي به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها[1]

☆ ☆ ☆

٢ ـ المشركون في مكة المكرمة :

كان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسُمان بن عبد الله الخزاعي ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البختري بن هشام ... فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أُمية ، وهو قاعد في الحِجْر : والله إن يعقل هذا فاسألوه عني ، فقالوا : مافعل صفوان بن أُمية ؟ قال الحيسُمان : هاهو ذاك جالس في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلا .

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعباس بن عبد

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٠٩ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٢ / ب .

المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فـأسلم العبـاس وأسلمت أُم الفضل وأسلمتُ . وكان العبـاس يهـاب قومـه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامـه ، وكان ذا مـال كثير متفرّق في قومـه ، وكان أبو لهب قـد تخلَّف عن بدر ، فبعث مكانه العـاصي بن هشـام بن المغيرة ، وكـذلـك كانوا صنعوا ، لم يتخلَّف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جـاءه[1] الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله[2] وأخزاه ، ووجدنـا في أنفسنا قوة وعزّاً .

وقـال أبو رافع : وكنت رجـلاً ضعيفـاً ، وكنت أعمـل الأقـداح ، أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي ، وعنـدي أُم الفضل جالسة ، وقد سرَّنا مـاجـاءنـا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليـــه بِشَرٍّ ، حتى جلس على طنب الحجرة[3] ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينمـا هـو جـالس إذ قـال النـاس : هــذا أبـو سفيـان[4] بن الحارث بن عبـد المطلب قـد قـدم ، فقـال أبو لهب : يـابن أُخي ، هلمّ إلي ، فعنـدك لعمري الخبر ، كيف كان أمر النـاس ؟ فـأجـاب : والله مـاهو إلا أن لقينـا القوم فمنحنـاهم أكتـافنـا يقـودوننـا كيف شـاؤوا ،

---

(١) جاء الخبرُ أبا لهب .

(٢) كَبَتَ اللهُ العدوّ : صرفه وأذلّه ، وكبته لوجهه : صرعه . (مختار الصحاح ، ص ٥٦٠) .

(٣) طنب الحجرة : طرفها .

(٤) واسم أبي سفيان : المغيرة .

ويأسروننا كيف شاؤوا ، وايْمُ الله مالُمْتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً ، على خيل بُلْق ، بين السماء والأرض ، والله ماتُليق شيئاً[1] ، ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة ، وثاورته[2] فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك علي يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أُم الفضل إلى عمود من عُمُدِ الحجرة ، فأخذته فضربته فلعت[3] في رأسه شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ماعاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة[4] فقتلته .

وناحت قريش على قتلاها ، ثم قالت : لاتفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه ، فيشمتوا بكم ، ولاتبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب[5] عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

وكان الأسود بن المطلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن

---

(١) لاتبقي شيئاً .

(٢) ثاورته : وثبت إليه .

(٣) لعت : شقت .

(٤) العدسة : بثرة خطرة تخرج في الجسم تشبه الطاعون ، تقتل صاحبها سريعاً .

(٥) حتى تستأنوا بهم : أي تؤخروا فداءهم ، ويأرب : يأبى ويتشدّد .

الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة . وكان يحب أن يبكي على بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له « وقد ذهب بصره » : انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ، هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفي قد احترق . فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته . فقال الأسود بن المطلب ·

أتبكي أن أضلّ[1] لها بعيرٌ ويمنَعُها من النومِ السُّهُودُ
فلاتبكي على بَكْرٍ ولكنْ على بدرٍ تقاصرتِ الجدُودُ
على بدرٍ سَراةِ بني هُصَيْصٍ ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبي الوَليدِ
وبَكّي إنْ بَكَيْتِ أباعقيلٍ[2] وَبَكّى حارِثاً أَسَدَ الأُسُودِ
وبكيهم ولاتَسِمِي جميعاً ومالأبي حكيمة[3] من نَديدِ
ألا قد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ولولا يَوْمُ بدرٍ لم يَسُودُوا[4]

☆ ☆ ☆

(١) في الطبري ، جـ ٢ ص ٤٦٤ : « أتبكي أنْ يَضِلَّ لها بعيرٌ » .

(٢) في الطبري : « وبكّى إنْ بكيتِ على عقيلٍ » .

(٣) في الطبري : « فما لأبي حكيمة من نديد » .

(٤) قال ابن هشام : هذا « إقواء » ، وهي مشهورة من أشعارهم ، أو « إكفاء » ، والإقواء والإكفاء : عيوب في قافية الشعر . والأبيات في ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١١ ، والبداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣٠٩ ، والطبري ، جـ ٢ ص ٤٦٤ ، وأورد أبو الربيع في الاكتفاء جـ ١ ص ٩٣ / ب البيت الأول والثاني فقط ثم قال : في أبيات ذكرها ابن إسحق .

فداء الأسرى :

وكان في الأسرى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه » . فلما قالت قريش : لاتعجلوا بفداء أسراكم ، لا يأرب عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة ـ وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى ـ : صدقتم ، لاتعجلوا ، وانسل في الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مِكْرَز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، فقال :

أسرتُ سُهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تعلمُ أن الفتى فتاها سهيلٌ إذا يُظلَمْ
ضربتُ بذي الشّفرِ حتى انثنى وأكرهتُ نفسي على ذي العَلَمْ[1]

وكان سهيل رجلاً أعْلَمَ من شفته السُّفلى . فقال عمر بن الخطاب

(١) الأبيات في : ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٢ ، والبداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١٠ . وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم .

لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، دعني أنتزع ثَنِيَّتَيْ سهيل بن عمرو السُّفْلِيَين يَدْلَع لسانه ، فلايقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لاأُمثِّلُ به فيمثِّل الله بي ، وإن كنت نبياً . إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمه[1] » .

فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذي لنا ، قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلُّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه ، فخلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم .

وكان في الأسرى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب ، وكانت أُمه بنت عقبة بن أبي معيط ، أو أُمه أخت أبي معيط ، وكان الذي أسره علي بن أبي طالب ، وقيل لأبي سفيان : افدِ عَمْراً ابنك ، قال : أيجتمع عليَّ دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدي عَمْراً ؟! دعوه في أيديهم يمسكوه مابدا لهم . فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال معتمراً ومعه امرأته ، وكان شيخاً كبيراً مسلماً ، في غنم له بالنقيع[2] ، فخرج من هنالك معتمراً ، ولايخشى الذي صُنِع به ، لم يظن أنه يُحْبَس بمكة وقد كان عهد قريش أن قريشاً لايعرضون لأحد

(١) وهذا المقام هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ ، وارتد من ارتد من العرب .. فقام فخطب الناس وثبتهم على الدين الحنيف كما سنفصل في الجزء الخاص عن (حروب الردة) .

(٢) النقيع : موضع قرب المدينة المنورة .

جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير . فَعَدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال :

أَرَهْطَ ابنِ أكّالٍ أجيبُوا دُعاءَه … تعاقدتُم لا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الكهلا
فإنَّ بني عَمْرٍو لئامٌ أذلّةٌ … لئن لم يَفُكُّوا عن أسيرِهم الكَبْلا[1]

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

لو كان سعدٌ يومَ مكةَ مطلَقاً … لأَكْثَرَ فيكم قبلَ أن يؤسَرَ القتلا
بعضبٍ حُسَامٍ أو بصفراءَ نبعةٍ … تحنّ إذا ما أنبضتْ تحفِزُ النَّبلا[2]

ومشى أهل سعد بن النعمان بن أكّال إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكُّوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله ﷺ ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعد .

☆ ☆ ☆

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٦٧ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٣ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١١ ، والاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٤ / ١ .

(٢) العضب : السيف القاطع ، والصفراء النبعة : القوس المصنوعة من شجرة النبع ، وتحنّ : يصوت وترها . وأنبضت : تحرك وتر القوس استعداداً للانطلاق ، وتحفز النبلا : ترميه .

أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول :

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ، أسره خراش بن الصمة ، وأبو العاص زوج ابنة رسول الله زينب ، وكان من رجال مكّة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة . وكانت خديجة خالته ، فسألت خديجة رسولَ الله ﷺ أن يزوّجه ، فزوجه قبل النبوة ، فلما أكرم الله عز وجل رسوله بنبوته ، آمنت به خديجة وبناته ، فصدَّقنه وشهِدْنَ أن ماجاء به هو الحقّ ، وَدِنَّ بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه .

وكان رسولُ الله ﷺ قد زوّج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رُقيَّة أو أم كلثوم ، فلما بادى قريشاً بأمر الله عز وجل وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه ، فردوا عليه بناته ، فاشغَلُوه بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارقْ صاحبتَك ، ونحن نزوّجك أي امرأة شئت من قريش ، قال : لاهاالله إذاً ، لاأُفارق صاحبتي وماأُحب أنّ لي بامرأتي امرأة من قريش ، وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره خيراً[1] .

ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلّق ابنةَ محمد ونحن

---

(١) ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١١ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٤ / ١ .

نزوجك أي امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها ، فزوجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ، فخلف عليها عثمان بن عفان بعده .

وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ، إلاّ أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه ، حتى هاجر رسولُ الله ﷺ ، فلمّا سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ .

ولما بعث أهل مكة في فداء أُسَرَائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بَنَى عليها . فلمَّا رآها رسولُ الله ﷺ رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذي لها فافعلوا !! فقالوا : نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل زينب إليه[1] ، فبعث رسول الله زيدَ بن حارثة ورجلاً من

---

(١) أو كان فيا شرط عليه في إطلاقه ، ولم يظهر ذلك منه ولامن رسول الله ﷺ ، فيعلم ماهو !

الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجُج[1] ، حتى تمرّ بكما زينب فتصحباها ، حتى تأتياني بها ، فخرجا مكانها ، وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه[2] ، فلما قدم أبو العاص مكّة أمرها باللحوق بأبيها .

تقول زينب رضي الله عنها : بينا أنا أتجهَّزُ بمكة للّحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : أي ابنة محمد ، أَلم يبلغني أَنك تريدين اللحوق بأبيك ! فقالت زينب : ماأردت ذلك ، فقالت هند : أي ابنةَ عمي ، لاتفعلي ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفُق بك في سفرك ، أو بمال تبلغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك فلاتضطني[3] مني ، فإنّه لايدخل بين النساء مايدخل بين الرجال ، تقول زينب : ووالله ماأراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكني خفتها ، فأنكرت أن أكون أُريد ذلك ، وتجهَّزْت[4] .

فلما فرغت ابنةُ رسول الله ﷺ من جهازها قدّم لها حموها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك رجال

---

(١) موضع قرب مكة المكرمة .

(٢) شيعه : قريب منه .

(٣) لاتضطني : لاتستحي .

(٤) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٦٩ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٥ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١٢ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٤ / ب .

قريش ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طَوَى ، فكان أول من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطَّلب ، ونافع بن عبد القيس[1] ، فروَّعها هبار برمح وهي في هودجها ، وكانت حاملاً ، فلما ريعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حَمُوها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجُلٌ إلاّ وضعت فيه سهماً ، فتراجع وانصرف الناس عنه ، وأتاه أبو سفيان في جِلَّة قريش ، فقال : أيها الرجل ، كفّ عنا نَبْلَك حتى نكلمك ، فكفَّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الرجال علانية ، وقد عرفتَ مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خُرج بابنته علانية من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا من مصيبتنا ونكبتنا التي كانت ، وأنّ ذلك منا ضعفٌ ووَهَنٌ ، لَعَمْري مالنا حاجة في حبسها عن أبيها ، ومالنا في ذلك من ثُؤْرة[2] . ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدأ الصوت ، وتحدّث الناس أنّا قد رددناها ، فَسُلَّها سرّاً فألحِقْها بأبيها ، ففعل حتى إذا هدأ الصوتُ خرج بها ليلاً ، حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله ﷺ[3] .

فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله ﷺ

---

(١) أو خالد بن عبد قيس الفهري .

(٢) الثؤرة : طلب الثأر .

(٣) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٧٠ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٦ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٤ / ب .

بالمدينـة ، حتى إذا كان قبيل فتح مكـة خرج تـاجراً إلى الشـام ، وكان رجلاً مأموناً بمال لـه ، وأموال رجـال من قريش أبضعوهـا معـه ، فلمـا فرغ من تجارته وأقبل قافلاً ، لقيته سريّـة لرسول الله ﷺ ، فـأصـابوا مامعه[1] ، وأعجزهم هرباً ، فلما قدمت السريـة بمـا أصـابوا من مـالـه ، أقبل أبو العـاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب بنت رسـول الله ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب مـالـه ، فلمـا خرج رسول الله ﷺ إلى صـلاة الصبـح ، فكبَّر وكبَّر النـاس معـه ، صرخت زينب من صُفَّـة[2] النساء : أيها الناس ، إني قـد أجرت أبـا العـاص بن الربيع . فلمـا سَلَّم رسولُ الله ﷺ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : « أيهـا النـاس ، هل سمعتم ماسمعت !؟ » قـالوا : نعم ، قـال : « أمـا والـذي نفس محمـد بيـده ، مـاعلمت بشيء كان حتى سمعت منـه مـاسمعتم ، إنـه يجير على المسلمين أدنـاهم » ، ثم انصرف رسـول الله ﷺ ، فـدخـل على ابنتـه ، فقال : أي بنيَّة ، أكرمي مثواه ، ولايخلُصْ إليك ، فإنك لاتَحِلِّين له .

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى السريَّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إنّ هذا الرجل منا حيث قد علمتم[3] ، وقـد أصبتم لـه مـالاً ،

---

(١) لأن طريق مكة الشام التجاري ، مازال تحت سيطرة المسلمين في المدينـة ، والحرب بينهم وبين قريش قائمة .

(٢) الصُفَّة : السقيفة .

(٣) أي إنه استجار بنا ، ولاذ بحمايتنا .

فإن تُحسنوا تردّوا عليه الذي له ، فإنا نحبّ ذلك ، وإن أبيتم فهو فَيء الله الذي أفاءه عليكم ، فأنتم أحق به ، قالوا : يارسول الله ، بل نردّه عليه .

فردّوا عليه ماله كاملاً ، لم يفقد منه شيئاً ، ثم احتمل إلى مكة ، فأدّى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان أبْضَع معه ، ثم قال أبو العاص : يامعشر قريش ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فإني أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله مامنعني من الإسلام عنده إلا تخوُّفُ أن تظنوا أني إنما أردت أكل أموالكم ، فلما أدّاها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ[1] .



إسلام عمير بن وهب الجمحي :

جلس عمير بن وهب الجمحي - وكان شيطاناً من شياطين قريش - مع صفوان بن أُمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في

---

(١) الخبر في : الطبري ، جـ ٢ ص ٤٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٨ ، وقال ابن عباس : ردّ رسول الله ﷺ زينب على أبي العاص على النكاح الأول ، لم يحدث شيئاً بعد ست سنين . ويعارضه حديث عمرو بن شعيب أنه ردها عليه بنكاح جديد ، ويمكن الجمع بينهما أنه ردها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلاً ، « ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢١٩ » .

الحجرْ ، وكان عمير ممن يؤذي رسولَ الله وأَصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ في العيش خير بعدهم[1] ، فقال عمير : صدقت والله ! أما والله لولا دَيْن عليَّ ليس له عندي قضاء ، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيْعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإنّ لي قِبَلهم علَّةً ، ابني أسيرٌ في أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أُمية ، فقال : عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكْتُم عليّ شأني وشأنك . قال : أفعل .

وانطلق عمير إلى المدينة بعد أن شحذ سيفه وسَمَّه . فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدَّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزوجل به ، وما أراهم في عدّوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلاّ لشَرٍّ ! وهو الذي حرّش[2] بيننا ، وحَزَرَنا[3] للقوم يوم بدر . ثم دخل

---

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٥ / ب .

(٢) حرش : أفسد .

(٣) الحزر : تقدير العدد تخميناً .

عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبيَّ الله ، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله عليَّ .

فأقبل عمر حتى أخذ بحَمَّالة سيفه في عنقه ، فلبَّبه[1] بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار . ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، ادْنُ يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعِمُوا صباحاً ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسولُ الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحيَّة خير من تحيتك يا عمير ، بالسَّلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه .

قال ﷺ : فما بالُ السيف في عنقك !؟!

قال : قبَّحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً !؟!

قال ﷺ : اصدقني بالذي جئتَ له .

---

(١) ألَبَّ بالمكان « إلباباً » أقام به ولزمه ، وألَبَّ كأشَدَّ . والمعنى هنا : طوق عنقه وشده بحمالة سيفه .

قال : ماجئت إلا لذلك .

قال ﷺ : بلى ، قعدتَ أنت وصفوان بن أُمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القَليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَيْن عليّ وعيالي لخرجتُ حتى أقتُلَ محمداً ، فتحمَّل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عزوجل حائلٌ بيني وبينك .

فقال عمير : أشهدُ أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلاّ أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهَّد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : فَقِّهوا أخاكم في دينه ، وأَقرئوه وعَلِّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره[1] . ففعلوا ، ثم قال عمير : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وإني أحب أن تأذن لي فأقدَم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، لعل الله أن يهديهم ! وإلا آذيتُهم في دينهم ، كما كنت أُوذي أصحابك في دينهم .

فأذن له رسولُ الله ﷺ فلحق بمكة . وكان صفوان بن أُمية حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قَدِم راكبٌ

(١) الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٥/ب .

فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلّمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه أناس كثير[1] .

☆ ☆ ☆

أبو عزة الشاعر :

عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة ، كان محتاجاً ذا بنات ، قال : يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن علي ، فمنَّ عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزّة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

مَن مبلغٌ عني الرسولَ محمداً ... بأنك حقٌّ والمليكُ حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى ... عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّئتَ فينا مباءةً ... لها درجاتٌ سهلة وصعود
فإنك مَن حاربتَه لمحارَبٌ ... شقيٌّ ومن سالمتَهُ لسعيد
ولكن إذا ذكّرتُ بدراً وأهلَهُ ... تأوَّب ما بي ، حسرة وقعود

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١٣ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٢٠ ، الاكتفاء ، جـ ٢ ص ٩٦ .

ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم . فلما كان يوم أُحُد أُسِرَ أيضاً ، فسأل من النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً ، فقال النبيُّ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مرتين ، لا يُلْدَغُ المؤمن من جحر مرتين » . ثم أمر به فضربت عنقه[1] .

☆ ☆ ☆

العباس بن عبد المطلب «أبو الفضل» :

عم النبي وصِنْوُ أبيه[2] :

خرج مع المشركين إلى بدر مُكْرَهاً ، وأُسر يومئذ فيمن أسر ، وكان قد شُدَّ وَثَاقُه ، فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يا نبي الله ؟ فقال : أَسْهَرُ لأنينِ العباس ، فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه ، فقال له رسول الله ﷺ : مالي لا أسمع أنين العباس ؟ فقال الرجل : أنا أرخيت من وثاقه ، فقال رسول الله ﷺ : فافعل ذلك بالأسرى كلهم .

وكان العباس مسلماً ، يكتم إسلامه بمكة ، (يكتب إلى رسول الله

---

(١) كما سيأتي في غزوة أُحد . « البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣١٢ » ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١/٩٥ .

(٢) الصنو : المثل ، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد .

أخبـار المشركين ، وكان مَنْ بمكـة من المسلمين يَتَقَـوَّون بــه ، وكان لهم عوناً على إسلامهم[1]) .

وذكرت بعض المصـادر أن العبـاس أخفى إسـلامـه (خـوفـاً من ضياع ماله) ، والأرجح أن للنبي غرضاً في إخفاء إسلامـه ، ليكون لـه عيناً ، ينقل تحركات قريش ومؤامراتهم .

وكان العبـــاس كثيراً مـــا يطلب الهجرة إلى رســول الله ﷺ ، فيكتب له النبي : مقامك بمكة خير لك .

وفي رواية : استأذن العباس النبي ﷺ في الهجرة ، فكتب إليـه : يا عم ، أقم مكانك الذي أنت فيه ، فـإن الله عزوجل يختم بـك الهجرة ، كما ختم بي النبـوة . وكان كـذلـك ، فقـد كان آخر المهــاجرين ، لأنــه استقبل النبيَّ ﷺ بالأبواء ، ولا علم له بخروج النبي لفتح مكة ، فرجع معه .

لذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر : من لقي العباس فلا يقتلـه ، فإنه أُخرج كرهاً .

فلما طلب منـه الفـداء قـال : عـلامَ يـؤخَـذ منـا الفــداء وكنــا مسلمين ـ وفي رواية وكنت مسلمـاً ، ولكن القوم استكرهوني ؟! فقـال

---

(١) أسد الغابة .. جـ ٣ ص ١٦٤ .

ﷺ : « الله أعلم بما تقول إن يَكُ حقاً فإن الله يجزيـك . ولكن ظـاهر أمرك أنك كنت علينا » . ولم يقل لـه رسول الله ﷺ « وظـاهر أمرك أنك مشرك » ، فظاهر أمره عليهم فقط .

وأمر النبيُّ ﷺ العباس بفـداء نفسـه وابني أَخَويـه ، عقيل بن أبي طـالب ، ونـوفـل بن الحـارث بن عبـد المطلب ، وحليفــه عتبــة بن عمرو ، ففدى نفسه بمـائـة أوقيـة ، وكل واحـد بـأربعين أوقيـة ، فقـال العبـاس للنبي ﷺ : تركتني فقير قريش مـا بقيت . فقـال لـه ﷺ : فأين المـال الـذي دفعتـه لأُم الفضل ـ يعني زوجتـه ـ وقلت لهـا : إن أُصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم[1] ، فقـال : والله إني أشهـد أنـك رسول الله ، إن هذا شيء ماعلمه إلاّ أنا وأُم الفضل ، أنا أشهـد أن لا إلـه إلا الله ، وأنك عبده ورسوله .

ونزل بحـق العبـاس رضي الله عنـه : ﴿ يـا أَيُّهـا النبيُّ قـل لمن في

---

(١) السيرة النبوية ، والآثار المحمدية ، هـامش السيرة الحلبيـة ، جـ ١ ص ٤٥٧ . وقثم : هو القثم بن عبـد المطلب . وفي الصفحـة ذاتها ، روايـة تقول : « كيف تكـون فقير قريش وقـد استـودعت بنادق الذهب أُم الفضل وقلت لها : إن قُتِلت فقد تركتـك غنيـة مـا بقيتِ ؟ » . وفي روايـة : « أين المال الذي دفنته أنت وأُم الفضل ؟ فقال العباس : أشهد أن الذي تقوله قد كان ومـاأُطْلِعَ عليه إلا الله » وأتى بالشهادتين ، أي نطق بهما بحضرة النبي ﷺ وأصحابه ، وهذا لا ينافي أسبقية إسلامه ، لقول العباس : علام يؤخذ منا الفداء وكنت مسلماً ؟! « هامش السيرة الحلبية ، جـ ١ ص : ٤٥٧ » .

أيديكم من الأَسرى إنْ يَعْلَمِ اللهُ في قلوبكم خَيْراً يُؤتِكُم خيراً مما أُخِذَ منكم ويغفر لكم ﴾[1] وعند نزول الآية قال العباس للنبي ﷺ : وددت أنك كنت أخذت مني أضعاف ما أخذت ، وقد صدق الله وعده له ، فأعطاه الله مالاً عظيماً ، وكان يقول رضي الله عنه : وإني لأرجو من الله المغفرة[2] ـ مصداق الآية الشريفة ـ .



(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٧٠ .

(٢) المرجع السابق « السيرة النبوية » ، وعيون الأثر ، جـ ١ ص ٢٦٦ ، وسيمر معنا في غزوة أُحد كيف أن قريشاً أرادت مباغتة المدينة المنورة فتحركت سراً ، ولكن : (كتب العباس بن عبد المطلب بخبرهم كله إلى رسول الله ﷺ) طبقات ابن سعد ، جـ ٢ ص ٣٦ .

الأنفـال

بسم الله الرحمن الرحيم :
☆ ﴿ يَسْألونَكَ عن الأنفالِ قُلِ الأنفالُ للهِ والرسـولِ ، فـاتقـوا اللهَ وأَصْلِحُـوا ذاتَ بينكم ، وأطيعوا اللهَ ورسولَـهُ إن كنتم مؤمنين ﴾ .
« أول سورة الأنفال » .

سجل الله عز وجل أحداث بدر لنا في (سورة الأنفـال) ، لتكون ذكرى لنا ونبراساً ونهجاً ، ولنصنع بعد بدر بدوراً .

فسورة الأنفال ، أي سورة الغنائم ، سجل كامل لأحداث مـا قبل بدر ، وأحداث بدر ، وما بعد بدر . وأوضحت السورة الكريمـة أمرين هامين :

١ ـ كيف يقسمون الأنفال .
٢ ـ وماذا يصنعون بالأسرى .

☆ ☆ ☆

أ ـ الأنفـال :

أنزل الله عز وجل بحق الأنفـال : ﴿ يسـألونَـكَ عن الأنفـالِ قُـلِ

الأَنفالُ للهِ والرسولِ ، فاتقوا اللهَ وأصلحوا ذاتَ بينكم ، وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ إن كنتم مؤمنين ﴾[1] .

قال عبادة بن الصامت : سورة الأَنفال فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل يوم بدر . اختلفوا لأن نصيب المقاتل من الغنيمة يقاس به بلاؤه في المعركة ، فكل أراد أن يظهر تفانيه في سبيل الإسلام من ناحية ، ولفقر المهاجرين وحاجتهم من ناحية ثانية .

وقال من جمع الغنائم : هو لنا .

وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم .

وقال الذين يحرسون رسول الله ﷺ : والله ما أنتم بأحق به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكنا خفنا على رسول الله ﷺ كَرَّة العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا[2] .

وقال عبادة بن الصامت : ورد الله الأنفال على رسول الله فقسمه

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ١ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٠٦ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٢ / ١ .

بيننا على السواء . وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسول الله ﷺ ، وصلاح ذات البين .

﴿ واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرسولِ ولذي القُرْبى واليتامى والمساكين وابن السبيلِ إن كنتم آمنتم باللهِ وما أنزلنا على عبدنا يومَ الفُرْقَانِ يومَ التقى الجمعان ، واللهُ على كُلِّ شيءٍ قدير ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

الأسرى :

وشاور رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر بشأن الأسرى .

فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة ، إنهم قومك وأهلك ، استَبْقِهِم واستَأْنِهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً .

وقال عمر : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، كذّبوك وأخرجوك ، قَدِّمهم فضرِّبْ أعناقهم ، إني أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكن علياً من

---

(١) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٤١ .

عقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للكفار ، هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

وكان ميل رسول الله ﷺ مع ما قاله أبو بكر .

فأنزل الله في سورة الأنفال : ﴿ ما كانَ لِنَبِيٍّ ﴾ أي قبلك ، ﴿ أَنْ يكونَ لَهُ أسرى ﴾ من عدوّه ، ﴿ حتى يُثْخِنَ في الأرض ﴾ أي يثخن عدوه ، وينفيه في الأرض ، والإثخان هنا التضييق ، ﴿ تريدون عرضَ الدنيا ﴾ أي الغنائم والمتاع والفداء بأخذ الرجال ، ﴿ واللهُ يُريدُ الآخرةَ ﴾[1] ، أي قتلهم لظهور الدين الذي يريد إظهاره ، والذي تدرك به الآخرة ، ﴿ لولا كتابٌ من الله سَبَقَ لمسَّكُم فيما أخذتُم عذابٌ عظيم ﴾ أي لمسكم فيما أخذتم من الأسرى والمغانم عذاب عظيم ، لقد سبق أن الله لا يعذب إلا بعد النهي ، ولم يك نهاهم . ثم أحلها الله لهم رحمة منه ، ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ، واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾[2] .

وقال رسول الله بحق موقف أبي بكر وعمر : إن الله لَيُلَيِّنُ قلوبَ

---

(١) نص الآية الكريمة : ﴿ ما كانَ لنبيٍّ أن يكونَ له أسرى حتى يُثخِنَ في الأرضِ ، تريدون عَرَضَ الدنيا ، واللهُ يُريدُ الآخرةَ واللهُ عزيزٌ حكيم ، لولا كتابٌ من اللهِ سَبَقَ لمسَّكُمْ فيما أخذتم عذابٌ عظيم ، فكلوا مما غَنِمْتُم حلالاً طيباً واتقوا اللهَ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ﴾ سورة الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٦٩ .

رجال فيه حتى تكون أَلْيَنَ من اللَّبن ، وإن الله عز وجل ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشَدَّ من الحجارة . وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فمن تبعني فإنَّه منّي ومن عصاني فإنَّكَ غفورٌ رحيم ﴾[1] ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إن تعذِّبهم فإنَّهم عبادُكَ وإن تغفِرْ لهم فإنَّك أَنتَ العزيزُ الحكيم ﴾[2] .

ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكافرينَ دَيَّاراً ﴾[3] ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنا اطْمِسْ على أَموالهم واشْدُدْ على قلوبهم فلا يُؤْمِنُوا حَتّى يَرَوا العذابَ الأَليم ﴾[4] .

ثم قال ﷺ : « أنتم اليوم عَالَةٌ فلا يفلتنّ منهم أحدٌ إلا بفداء ، أو ضرب عُنُق » . فقال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بَيْضاء ، فاني سمعته يذكر الإسلام - أي يذكره بخير - ، فسكتَ رسول الله ﷺ ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ الحجارة من السماء منّي في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ : « إلا سهيل بن بيضاء »[5] .

☆ ☆ ☆

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية الكريمة : ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية الكريمة : ١١٨ .

(٣) سورة نوح ، الآية الكريمة : ٢٦ .

(٤) سورة يونس ، الآية الكريمة : ٨٨ .

(٥) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، وراجع سيرة ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٣١ .

خاتمة

نتائج بدر

☆ انتصار المسلمين ببدر ، انتصار عروبة عمر وعليّ على عروبة أبي جهل وأبي لهب ، وانتصار عروبة أبي بكر والحمزة على عروبة ابن أبي معيط وعتبة بن ربيعة .. انتصار العروبة التي ستصنع مجد العرب وعزتهم وتاريخهم بعد الوثنية والضياع .

لقد كان انتصار بدر نتيجة تربية دامت خمس عشرة سنة ، جعلت المسلمين شخصاً واحداً ، عقيدةً وهدفاً وأخلاقاً وسلوكاً وتربيةً .

سبعون آية في كتاب الله المجيد نزلت قبل بدر تنهى رسولَ الله ﷺ والمسلمين عن القتال ؛ لأنه كان مايزال في مرحلة التربية والتزكية للفرد المسلم ، ولأنه لو قاتل وهو في مكة لقاتل في وقت غير مناسب ، ولأظهرته قريش على أنه أحد أفرادها ، وهي في قضائها عليه في موقف التأديب وَلَمِّ الشمل ووحدة القبيلة والعشيرة ، وكأن الأمر أمر داخلي ضمن الأسرة الواحدة ، ولو أنه يمس جوهر العقيدة بينها وثنيةً وشركاً ، وبينه توحيداً مطلقاً .

فليس المقصود الحرب في ذاتها ، بل المقصود تحقيق النصر وبأقل خسائر . فبعد شطط قريش في عداوتها :

﴿ قالوا إنَّما أنتَ مُفْتَرٍ . ﴾[1] .
﴿ إنْ هذا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأولين . ﴾[2] .
﴿ إنما يعلمه بشر .. ﴾[3] .
﴿ وإذ يمكرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجوكَ ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . ﴾[4] .
﴿ أُذِنَ للذين يُقَاتَلُونَ بأنَّهم ظُلِمُوا وإن الله على نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ ، الذين أُخْرِجُوا من ديارهم بغيرِ حقٍّ إلاّ أن يقولوا رَبُّنا الله .. ﴾[5] .

كانت بدر بعد هذا الشطط ، وهذه العداوة ، ولكن بعد أن هَيَّأ رسول الله ﷺ الفرد المسلم ، فجعل في القلب الله وحده ، وأخرج منه كل ماسوى الله ، فنضجت القلوب وتطهرت ، ومُلِئَت بنور الله عز وجل وبأحكام الشريعة .. فلو كانوا ملايين في عددهم ، هم شخص واحد

---

(١) سورة النحل ، الآية الكريمة : ١٠١ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية الكريمة : ٢٥ . وسورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٣١ .
(٣) سورة النحل ، الآية الكريمة : ١٠٣ .
(٤) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٣٠ .
(٥) سورة الحج ، الآية الكريمة : ٣٩ .

عقيدة وهدفاً . فكان فوز بدر ثمرة تربية وتزكيـة رسول الله ، المستمـدَّة من كتاب الله ، قال لهم :

﴿ اصبروا وصــابروا ورابطـوا واتقـوا الله لعلكم تفلحــون ﴾[1] ، فصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله فأفلحوا .

﴿ وأطيعـوا اللهَ والرَّسُولَ لعلكم ترحمـون ﴾[2] ، فــأطــاعـوا الله ورسوله فرحموا .

﴿ ولاتنــازعوا فتفشلوا وتـذهب ريحكم .. ﴾[3] ، فحـوَّلـوا معـاني الآية إلى أعمال وواقع .

﴿ إذا لقيتم فِئَــةً فــاثبتــوا واذكروا الله كثيراً .. ﴾[4] ، فثبتــوا وذكروا الله كثيراً ..

انتصار بدر ، ثمرة بنـاء الإسلام في قلب وروح وفكر المسلم ، بنـاء عقل وحكمة ، وفكر ومنهج ، وذكر وإنابة ، وصدق وإخلاص ، وعمل وتفانٍ ..

لقد خـاض المسلمون بـدراً بعـد أن ملأ رسولُ الله ﷺ قلوبهم بنور

---

(١) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ٢٠٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٣٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٤٦ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية الكريمة : ٤٥ .

العشق الإلهي ، فتوقدت فيهم الأشواق إلى الشهادة ، إلى رحلة العروج إلى الله . فجاءت النتائج نصراً ومجداً .. وأن القليل مع الإسلام ، ينتصر على الكثير الفاقد للإسلام[1] .

انتصار بدر .. ثمرة صبر طويل ، وعمل دؤوب ..

التراب على الرأس .. ولاتراجع .

حجارة سفهاء ثقيف في الطائف .. ولاتراجع ..

مقاطعة شِعْبِ أبي طالب حتى أكلوا الشوك وورق الشجر .. ولاتراجع ..

تهجير إلى الحبشة ، وتعذيب في رمضاء مكة .. ولاتراجع ..

فانتصار بدر نتيجة عمل دؤوب ، وجهد مستمر ، لاحادث عفوي ، ولو أن الله عز وجل أنزل مَدَدَه ، فنزول الملائكة نتيجة صبر على الطاعة ، ونتيجة تفانٍ في خدمة الإسلام ، ونتيجة صلة بالله حقيقية ، ونتيجة نصر جانب الله على جانب الشهوات .. فاتصلت قوة المؤمنين بقوة الله عز وجل .

---

(١) يقول بعض المستشرقين : إن المسلمين غَلَبوا وانتصروا وحققوا الفتوحات ، لأنّهم أبناء تقشف ، وأبناء صحراء قاسية ، وبدر تنفي هذا الادعاء وتنقضه ، ففي بدر عرب مع عرب ، من جنس واحد ، وأبناء منطقة واحدة ، فانتصرت القلة المسلمة !؟! .

وانتصار بدر يعني انتصار وحدة العرب وإخائهم ، وانتصار حرية الفكر ، وانتصار التوحيد على الشرك ، وانتصار التاريخ المجيد العظيم ، على تاريخ الوثنية والضياع والنسيان .

وانتصار المسلمين في بدر ، انتصار عروبة عمر وعليّ على عروبة أبي جهل وأبي لهب ، وانتصار عروبة أبي بكر والحمزة على عروبة عقبة بن أبي معيط وعتبة بن ربيعة ، وانتصار عروبة سعد ومصعب على عروبة زمعة بن الأسود وأبي البختري بن هشام .. فعروبة عمر وعليّ ، وأبي بكر والحمزة ، وسعد ومصعب .. هي التي ستصنع للعرب مجدهم وعزّتهم وتاريخهم الذي يفخرون به حتى أيامنا هذه ، فانتصار بدر .. انتصار عروبة مباركة خَيِّرة طيبة مؤمنة ، عروبة عالمية ، على عروبةِ العزلة والتبعيَّة والثارات واللات والعزّى .

انتصار بدر يعني فوز الإيمان الصادق ، مع فوز صدق العزيمة .. فكانت المقدمات سليمة صحيحة ، والنضوج كاملاً ، فمن يستطيع أن يمنع النتيجة الرائعة ، إذا هُيِّئت المقدمات زماناً ومكاناً ورجالاً ؟!! .

ومن يحول دون الغاية المرجوّة إذا صدقت العزيمة باكتمال التربية والإيمان ؟!!

ومن يحول دون العزّة والرفعة ، إذا وجد القائد المثالي ، الذي

سيطر على مايحيط به من أحداث ، وماسلبته الأحداثُ سيطرتَه وتوازنه لحظة واحدة ، فبقيت ثقة رجاله به ثابتة كاملة ، وبالتالي امتلك أهم مقومات القيادة ؟!! .

لقد تعامل رسول الله ﷺ مع مادة خام هي الرجال ، فكسب ثقتهم ، ورفع من روحهم المعنوية ، وبالتالي المقدرة القتالية إلى قممها الشمّ .

(إن القيادة فن وعلم) ، وأظهر رسول الله ﷺ الفن والعلم ببراعة في التطبيق العملي ، ومانظام الصف الذي فوجئت به قريش إلا جزء من عبقرية عسكرية .

وكان رسول الله ﷺ عظيماً في علم النفس ، فحفظ معنويات جنده في الأوج ، قبل المعركة وأثناءها وبعدها :

☆ قبل المعركة : « فوالذي بعثك بالحق نبياً ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، ومن بين يديك ومن خلفك »[1] .

« فاظعن حيث شئت ، وصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعادِ من شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ،

---

(١) رأي المهاجرين ، وقدّمه المقداد بن عمرو .

ومأأخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، ومأأمرت فيه من أَمر فأمرنا تبع لأمرك ، فامضِ يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلَّف منا رجل واحد ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله »[1] .

☆ وأثناء المعركة : تكفينا قصة سواد بن غَزِيَّة حيث طمع أن يمس جلده جلد رسول الله قبل أن يستشهد ، وقصة عُمير بن الحُمَام عندما قال : بَخ .. بَخ .. وركض إلى الشهادة بعد أن ألقى تمرات كن بيده .

☆ وبعد المعركة : نذكر قول مسلمة بن سلامة للمهنئين : « ماالذي تهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبُدْن المعقلة ، فنحرناها » .

أمام هذه المعنويات ، وهذه الروح ، لم تعد الأعداد ذات جدوى[2] ، فتحطم غرور قريش ، وتحطمت كثرتها على صخرة

---

(١) رأي الأنصار ، وقدّمه سعد بن معاذ .

(٢) قال منتغمري في كتابه « الحرب عبر التاريخ » : الأعداد وحدها لم تعد ذات جدوى في مواجهة الإيمان والثبات والعقيدة .

النظام والعقيدة والروح المعنوية العالية .

وانتصار بدر ثمرة طيبة لفرض الإرادة على العدو ، لقد اختار المسلمون المكان المناسب ، ومعهم الماء ، والشمس في ظهورهم ، ولم يسمحوا لعدوهم أن يفرض إرادته عليهم ، فحرموه من الماء ، وجعلوا الشمس تلفح وجهه ، واستمرت المبادأة بأيديهم ، « وعند فقد المبادأة يستحيل تحقيق النصر » .

لقد امتلكت قريش مائة فرس ، وماامتلك المسلمون إلا اثنتين ، ولكن كما يقول الفيلد مارشال منتغمري : « المشاة الجريئة المحتلة مواقع دفاعية قوية ، ويقودها قائد فطن وذكي ، يمكنها هزيمة الفرسان بسهولة »[1] .

☆ ☆ ☆

كان حصاد بدر أكثر من بذارها :

بفضل الله وعونه ، من ذلك :

أ - قويت شوكة المسلمين عندما دوّى انتصارهم في بدر في كل نواحي الجزيرة العربية ، وبدأ خيلاء قريش الوثنية بالانهيار ، وأضحت هناك قوة جديدة حقيقية ، يحسب لها حسابها ، هي قوة

---

(١) الحرب عبر التاريخ ، لمنتغمري ، ص : ٢٧٨ .

الدين الجديد ، فانتصار المسلمين انتصار التوحيد الذي لاتدين به القبائل العربية ، فصدمها الأمر ، وبدأت تراجع حساباتها ، وتنظر إلى الدين الجديد نظرة تفحُّص ، ونظرة المتريث المذهول ، أمام هذه الصدمة العنيفة التي فاجأت قريشاً ذاتها ، فالانهزام كان للأعزة ، للكبرياء ، للمكانة الرفيعة التي لم تمس .. فبدأ نجم جديد يتلألأ في سماء العرب ، ليفرض نفسه حقاً مدعّماً بالقوة .

قال أبو جهل حين التقى الجمعان مستفتحاً : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لانعرف ، فأحنه الغداة ، وقال : اللهم أعن أعز الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين[1] . فأعزَّ اللهُ وأكرم المسلمين ، فقويت شوكتهم في جزيرة العرب .

٢ ـ ذهول قريش أمام الصدمة المفاجئة ، فناحت على قتلاها نحو شهر ، ثم خافت شماتة المسلمين ، ولن يخفف حزنها العميق إلا الانتقام والثأر ، وكان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ، قد نَذَرَ ألاّ يمسّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزُوَ محمداً ، فخرج في مائتي راكب ، وقال يُحَرِّض من معه :

كُرُّوا على يَثْرِبٍ وجمعِهِمُ ... فإنَّ ما جمَّعوا لكُمْ نَفَلُ
إنْ يَكُ يومُ القَلِيبِ كان لَهُمْ ... فإنَّ ما بعده لكم دُوَلُ

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٢٨٢ .

آلَيْتُ لا أَقْرَبُ النِّســـــاء ولا يَمَسُّ رأسي وجِلْــديَ الغُسُــلُ
حتَّى تُبيرُوا قبائلَ الأوس والـ خَـزْرج ، إنَّ الفـؤادَ مُشْتَعِـلُ

فأجابه كعب بن مالك :

تَلْهَفُ أُمُّ المسبِّحينَ على جيش ابن حَرْبٍ بالحرَّةِ الفَشِلِ
إذ يطرحونَ الرجالَ مَنْ سَئِمَ الطَّـ ـير ترقَّى لِقُنَّـــةِ الجَبَــلِ
جاؤوا بجمعٍ لو قيسَ مبرَكَـهُ ما كان إلاّ كمفْحَصِ الدُّئِلِ[1]
عـــارٍ مِنَ النَّصر والثراء ومن أبطال أهل البَطْحاء والأَسَلِ[2]

أراد أبو سفيان في خروجه هذا أن يبرَّ يمينه ، فوصل ضواحي المدينة المنوَّرة ، حتى أَتى بني النَّضير تحت جنح الليل ، فأتى حُيَيَّ بن أَخْطَب ، فضرب عليه بابه ، فأَبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف إلى سلاّم بن مِشْكَم ـ وكان سيد النَّضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم[3] ـ فاستأذن عليه ؛ فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبَطَنَ[4] له خبر الناس ، ثم خرج في عَقِب ليلته حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرقوا في

---

(١) البيت في اللسان (دأل) ، وروايته :

جاؤوا بجيشٍ لو قيسَ مُعرَسُه ما كانَ إلاّ كَمُعْرَسِ الدُّئِلِ

(٢) الأسل : الشوك الطويل من شوك الشجر ، وتسمى الرماح : أسَلا ، (مختار الصحاح ، ص ١٧) .

(٣) الكنز هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهاتهم ونوائبهم .

(٤) بطن له : أي أعلمه سرهم .

أصوار[1] من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً لـه في حَرْثٍ لهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ورأى أبو سفيان أنَّ يمينه قد حُلَّت ، وجاء الصريخ إلى النبي ﷺ ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم ، وكان أبو سفيان ومن معه يلقون جُرُب الدقيق ويتخففون ، وكان ذلك عامَّة زادهم ، فلذلك سُمِّيت غزوة السَّوِيق[2] .

لقد عادت قريش من غزوة السَّوِيق بهزيمةٍ وهروبٍ وفرارٍ ، فباتت تعد لغزوة أكبر .

٣ً - استشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وهم : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب . وعُمير بن أبي وقاص ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ، وعاقل بن البكير ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء .

ومن الأنصار ثمانية هم : سعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر ، ويزيد بن الحارث ، وعُمير بن الحُمام ، ورافع بن المعلى ، وحارثة بن سراقة بن الحارث ، وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد ، وهما ابنا عفراء[3] .

---

(١) الأصوار : جمع صور ، وهو النخل مجتمعة .

(٢) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٨٣ ، ابن سعد ، جـ ٢ ص ٣٠ ، عيون الأثر ، جـ ١ ص ٢٩٦ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٨ / ب .

(٣) أسماء الشهداء في : ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٥١ .

وقُتِلَ من المشركين يوم بدر من قريش سبعون رجلاً .

وأُسِرَ منهم سبعون رجلاً[1] . فبدأ الإسلام معركته للقضاء على الأُمية . ذكر ابن سعد في طبقاته : « فمن لم يكن له فداء ، دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فَعلَّمهم ، فإن حذقوا فهو فداؤه »[2] . وبذلك رقَّى رسول الله ﷺ العرب ، فجعل من أسراهم في بدر أساتذة ، فما أذلهم وهم أسرى ، وجعل منهم معلمين للأُمة ، مع أرقى معاملة يعامل بها أَسير حرب . قال أبو عزيز بن عُمير بن هاشم - وهو من الأسرى - : كانوا - كان المسلمون - إذا قدّموا غَدَاءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز ، وأكلوا التمر لوصيَّة رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفحني بها ، فأستحيي ، فأردّها على أَحدهم فيردّها عليَّ ما يَمسُّها .

٤ - وفكرت قريش بعد بدر بطريق جديد لتجارتها ، لقد

---

(١) وأسماء الأسرى في : ابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٥٢ وما بعدها .

(٢) جاء في طبقات ابن سعد ، جـ ٢ ص ٢٢ : (كان فداء أسارى بدر أربعة آلاف إلى مادون ذلك ، فمن لم يكن عنده شيء أُمِرَ أن يُعَلِّمَ غِلمان الأنصار الكتابة) وجاء : (وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دُفِعَ إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلَّمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه) وجاء : (كان فداء أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده عَلَّم عشرة من المسلمين الكتابة ، فكان زيد بن ثابت مِمَّن عُلِّم) ، وجاء في كتاب (الأَقضية) : (يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ، قال ابن وهب : إن أهل المدينة لم يكونوا يحسنون الخط) ، ص ٣٦ .

خـافت طريقهـا التي سلكتهـا إلى الشـام ، فسلكت طريـق العراق عبر نجد ، وهي طريق طويلة .

لقد فكرت قريش في حماية تجـارتهـا من المسلمين ، وفكر المسلمون في قطع الطريق عليها مهما كان اتجـاهـه ، فخرج من قريش تجـار فيهم أبو سفيـان ، ومعـه فضـة كثيرة ، واستـأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرَات بن حَيَّان ليدلهم على تلك الطريق الجديـدة عبر نجـد إلى العراق ثم الشام ، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على مـاء يقال له (القَرْدة) ، فأصاب تلك العير وما فيهـا ، وأعجزه الرجـال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ[1] .

وجاء في الطبري : قالت قريش : قد عوَّر علينا محمد مَتْجَرَنـا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان وصفوان بن أُمية : إن أَقمنـا بمكـة أكلنـا رؤوس أموالنا . وقال زمعـة بن الأسود : فـأنـا أدلكم على رجل يسلـك بكم النَّجديَّة ، لو سلكهـا مغَمَّض العينين لاهتـدى ، قـال صفوان : مَنْ هـو ؟ فحـاجتنـا إلى المـاء قليلـة ، إنَّما نحن شـاتـون . قـال : فرات بن حَيَّان ، فدعواه فاستأجراه ، فخرج بهم في الشتاء ، فسلك بهم على ذات عِرْق ، ثم خرج بهم على غَمْرة .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٤ . وضبطت في (الاكتفاء) جـ ١ ص ٩٩ / ١ : [القِرْدة] .

فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالعير ، وأُفلت أعيانُ القوم[1] . وترك ذلك أثراً سيئاً في حياة قريش التي تعيش على تجارتها .

٥ - بدأ النفاق بعد بدر ، وظهر المنافقون الذين ادعوا الإسلام في ظاهر قولهم ، وأبطنوا الكفر والكيد للإسلام وأهله . لقد انتصر رسول الله ﷺ والمسلمون ، فهم أقوياء ، ولكن .. أيدوم هذا الانتصار طويلاً ؟ وهذه القوة .. أهي عارضة ستضعف بعدها ؟ .. الموقف حرج .. فأظهروا إسلاماً وكفروا قلباً وروحاً . وهؤلاء كانوا خطراً على المسلمين لاطلاعهم على أسرارهم مع ممالأة أعدائهم كلما وجدوا فرصة سانحة .

لما جاء البشير بالنصر إلى المدينة المنورة ، قال رجل من المنافقين لأُسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومن معه !؟! وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرَّق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل عليه أصحابه ، قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب ، وجاء فَلاًّ - أي هرباً - .

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٩٢ ، وفي الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٩ / ا : (ولما كان من وقعة بدر ما كان خافت قريش طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة ، وهي أعظم تجارتهم ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ..) .

الواجهة الشمالية لقصر كعب بن الأشرف



مدخل قصر كعب بن الأشرف

« أُخذت الصورة من داخل القصر »

قال أُسامة : فجئت حتى خلوت بأبي فقلت : أَحق ما تقول ؟ فقال : إي والله حق ما أَقول يا بني ، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدمَنَّك إلى رسول الله إذا قدم فليضربنَّ عنقك ، فقال : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه[1] .

٦ - بدأ اليهود عداوتهم ، وهي عداوة جديدة بعد عداوة قريش ، بدأت منذ هجرته ﷺ إلى المدينة ، وسببها :

أ - بغياً وحسداً وضغينة لما خصَّ الله عز وجل به العرب ، ﴿ قد بَدَتِ البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾[2] .

ب - أنهى رسول الله ﷺ خلافات الأوس والخزرج وانقساماتهم ، فانتهت بذلك دسائس اليهود بينهم ، وتعاليهم فوق الطرفين بسبب خلافاتهم . فأرادوا أن يشفوا غليلهم ، وغيظ قلوبهم .

وكان النبي حين قدم المدينة قد وادع يهودها ، على أن لا يُعِينوا عليه أَحداً ، وأَنَّه إن دَهَمَه بها عدوٌّ نصروه ، فلما قُتِل من قُتِل ببدر من مشركي قريش أظهروا له الحسد والبغي ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتال ، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ص ٣٠٤ و٣٠٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١١٨ .

وأظهروا نقضَ العهد . فجمعهم رسول الله بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النِّقْمة ، وأَسْلِموا[1] ، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ، وفي عهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا كقومك ! لا يغرنَّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمَنّ أنّا نحن الناس . وبذلك كان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ . فحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ، ثم استسلموا فكُتِفوا ، ثم أُجلوا شمالاً بتوسط عبد الله بن أُبي بن سلول[2] .

ولما جاء البشيران ـ زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ـ إلى المدينة بفتح الله عز وجل ، وقَتْل من قُتِل من المشركين ، قال كعب بن الأشرف اليهودي : ويلكم أحق هذا ! أترون أن محمداً قَتَل

---

(١) كان أحبار اليهود يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ، ويأتونه باللَّبس ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، وأسلم من أحبارهم اثنان فقط : عبد الله بن سلام فحسن إسلامه ، ومخيريق الذي استشهد يوم أُحد . (ابن هشام ، جـ ٢ ص ١١٨) .

(٢) الاكتفاء ، جـ ١ ص ٩٩ / ١ ، الطبري ، جـ ٢ ص ٤٨١ ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣ . وفي البداية والنهاية من أسباب إجلائهم : أن امرأة مسلمة قدمت بحلية تريد بيعها بسوق بني قينقاع ، فجلست إلى صائغ منهم ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحك الصائغ ومن عنده ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، ووثبت اليهود على المسلم فقتلوه .

هؤلاء الـذين يُسَمِّي هـذان الرجـلان ، وهـؤلاء أشراف العرب وملـوك النـاس ، والله لئن كان محمـد أصـاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرضِ خيرٌ لنـا من ظهرها .

فلمـا تيقَّن عـدوُّ الله الخبر ، خرج حتى قـدم مكـة ، فنزل على المطلب بن أبي وَدَاعة بن ضُبَيْرة السَّهمي ، وعنده عاتكة بنت أُسَيد بن أبي العيص بن أُمية بن عبد شمس ، فأنزلتـه وأكرمتـه ، وجعل يُحَرِّض على رسـول الله ﷺ ، وينشـد الأشعـار ، ويبكي على أصحـاب القَليب الذين أُصيبوا ببدر من قريش ، ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة ، فَشَبَّبَ بأُم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أَراحِـلٌ أَنْتَ لم تَحْلُـل بِمَنْقَبَـةٍ[1] ... وتاركٌ أنت أُمَّ الفضل بـالحَرَمِ !
صَفْراءُ رادِعـةٌ لو تُعْصَرُ انْعَصَرَت ... مِنْ ذي القوارير والحنّـاء والكَتمِ[2]
يَرْتَـجُّ مـابين كَعْبَيْهـا ومِرْفَقِهـا ... إذا تـأتَّتْ قيـامـاً ثم لم تَقُمِ
أشبـاهُ أُمِّ حكيمٍ إذْ تُـواصِلُنـا ... والحَبْلُ منها متينٌ غيرُ مُنْجَـذِمِ[3]
إحدى بني عـامرٍ جُنَّ الفؤادُ بهـا ... ولو تَشاءُ شَفَتْ كعبـاً من السَّقَمِ
فرعُ النِّساء وفرعُ القومِ والـدُهـا ... أهـلُ التَّحِلَّةِ والإيفـاء بـالـذِّمَمِ

---

(١) المنقبة : بوزن المتربة ، ضد المثلبة ، (مختار الصحاح ، ص : ٦٧٤) .

(٢) الكَتَمُ : نبت يخلط بالوسمة ، يختضب به ، (مختار الصحاح ، ص ٥٦٣) .

(٣) غير منجذم : غير منقطع .

لم أرَ شَمْساً بِلَيْلٍ قبلها طَلَعتْ حتى تَجَلَّتْ لنا في ليلةِ الظُّلَمِ[(١)]

ثم شَبَّبَ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهن ، فقال النبي ﷺ : مَنْ لي من ابن الأشرف ؟! فقال محمد بن مسلمة : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ، أفعل إن قَدَرْت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب ، إلاّ مايعلّقُ به نفسه ، فَذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟ قال : يارسول الله ، قلت قولاً لاأدري أَفِي به أمْ لا ! قال ﷺ : إنما عليك الجَهْد ، قال : يارسول الله ، إنه لابُدَّ لنا من أن نقول ، قال ﷺ : قولوا مابدا لكم ، فأنتم في حلّ من ذلك !

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلْكَان بن سلامة بن وَقْش (أبو نائلة) ، وعَبَّاد بن بشر بن وقش ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وأبو عَبْس بن جَبْر .

قَدَّم هؤلاء النفر أبا نائلة إلى ابن الأشرف قبلهم ، فجاءه فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتُمْ

(١) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ، وذكر موضعها أبياتاً مطلعها :
طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمهلكِ أهلِهِ ولمثل بدرٍ تستهلّ وتدمَعُ
والأبيات التي ذكرناها هنا ، هي رواية الطبري ، جـ ٢ ص ٤٨٨ .

عليّ ، فقال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً علينا ، عادَتْنا العرب ورمونا عن قوسٍ واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السُّبُلُ حتى ضاع العيال ، وجُهِدَت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهد عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرتك يابن سلامة أنّ الأمر سيصير إلى ما كنت أقول ، فقال أبو نائلة : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونَرْهَنُكَ ونُوثّق لك ، وتُحْسن في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تفضحنا ! إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحَلْقَةِ[1] مافيه لك وفاء ، وأراد أبو نائلة ألا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ، فقال : إنّ في الحلقة لوفاء .

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه ، فأخبرهم خَبَرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ ، ومشى معهم إلى بقيع الغَرْقَد ، ثم وجّههم ﷺ وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعِنْهم ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلة مقمرة ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف ، فهتفَ به أبو نائلة ، فوثب في مِلْحَفَتِهِ[2] ، وقالت له امرأته : إنك امرؤ مُحاربٌ ، وإنّ صاحبَ

---

(١) الحلقة هنا : السلاح كله .

(٢) الملحفة : اللباس الذي فوق سائر اللباس .

الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً لما أيقظني ، قالت : والله إني لأعرف في صوته الشرّ ، قال : لو دُعِيَ الفتى لطعنة أجاب . فنزل فتحدَّث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يابن الأشرف ، أن نتماشى إلى شِعْب العجوز[1] فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فَوْدِ رأسه ، ثم شمَّ يده ، فقال : ما رأيتُ كالليلة طيبَ عطرٍ قطّ . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودَيْ رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئاً . قال أبو نائلة : فذكرت مِغْوَلاً[2] في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولنا حِصْنٌ إلاّ أُوقدت عليه نار ، قال أبو نائلة : فوضعته في ثُنْدُؤته[3] ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أُصيب الحارث بن أَوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا .

---

(١) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ، ذكره ياقوت الحموي وقال : « قتل عنده كعب بن الأشرف » .

(٢) المِغْوَل : السكين التي تكون في السوط .

(٣) الثُّنْدؤة للرجل : بمنزلة الثَّدْي للمرأة ، وقال الأصمعي : هي مَغْرِزُ الثَّدْي ، وقال ابن السكيت : هي اللحم الذي حول الثدي ، (لسان العرب ، جـ ١ ص ٤١) .

وقال أبو نائلة : فخرجنا حتى سلكنا على بني أُمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا[1] في حرّة العُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونَزَفَه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسولَ الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلّي ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوِّ الله ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهوديّ إلا وهو يخاف على نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنه ـ رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِمْ ، وكان أَسَنّ من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله ! قتلته ! أما والله لرُبَّ شَحْم في بطنك من ماله ! قال محيصة : فقلت له : والله لو أَمرني بقتلك مَنْ أمرني بقتله لضربت عنقك ، قال : فوالله إنْ كان لأَوَّل إسلام حويِّصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك ، قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ! فأسلم حُوَيِّصة[2] .

---

(١) أسند في الحرَّة : صعدها .

(٢) الطبري ، جـ ٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٩١ ، الاكتفاء ، جـ ١ ص ١٠٠ / ١ .

قال عبد الله بن كعب بن مالك : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيَّين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاوَلان[1] مع رسول الله ﷺ تصاوُلَ الفَحْلين ، لاتصنع الأوس شيئاً فيه عند رسول الله ﷺ غَناء[2] إلاّ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ في الإسلام ، فلاينتهون حتى يُوقِعوا مثلها . وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، فلما أصابت الأوسُ كَعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً .

فتذاكر الخزرج وقالوا : مَنْ رَجُلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف !؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيْق وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسولَ الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبعيّ ، وخُزاعي بن الأسود ، حليف لهم من أَسْلَم ، فخرجوا ، وأَمَّر عليهم رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى قدموا خيبر ، فأتوا دار ابن أبي الحُقيق ليلاً ، فلم

---

(١) يتصاولان : يتفاخران .

(٢) غناء : كفاية وخير .

يدعوا بيتاً في الدار إلاّ أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان في عُلِّيَّة[1] له إليها عَجَلَة[2] روميَّة ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه[3] ، فلما دخلوا أغلقوا عليها وعليهم وعليه باب الحجرة .

قال عبد الله بن أُنَيْس : وتخوَّفنا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، فصاحت امرأته ، ونوَّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، والله مايدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبْطِيَّة[4] ملقاة . ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهيَ رسول الله ﷺ ، فيكفّ يده ، ولولا ذاك فرغنا منه بليل ، فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبدُ الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي[5] ! .

---

(١) العليّة : بالكسر والضم ، بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه .

(٢) قال ابن الأثير : « في عجلة من نخل ، هو أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج ليصعد فيه إلى الغرف ونحوها » .

(٣) وفي رواية الطبري ، جـ ٢ ص ٤٩٨ : « لما استأذن عبد الله بن عتيك ، قالت امرأة ابن أبي الحقيق : إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك ، قال ابن أبي الحقيق ، ثكلتك أمك ! عبد الله بن عتيك بيثرب ، أين هو عندك هذه الساعة ! افتحي لي ، إنَّ الكريم لايردّ عن بابه هذه الساعة ، فقامت ففتحت » .

(٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قِبط مصر .

(٥) قَطْني : يكفيني أو حسبي .

وقال عبد الله بن أُنَيْس : وكان عبد الله بن عتيك سيّئ البصر ، فوقع من الدرجة ، فَوُثِئَتْ[1] رجله وثئاً شديداً ، واحتملناه حتى نأتي به مَنْهراً[2] من عيونهم فندخل فيه ، قال : وأوقدوا النيران ، واشتدُّوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه ، وهو يقضي بينهم .

قال ابن أُنَيْس : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات !؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامرأته في يدها المصباح تنظر في وجهه ، ثم قالت تحدثهم وتقول : أما والله لقد عرفت صوتَ ابن عتيك ، ثم أكذبت ، فقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه ثم قالت : فاظ[3] وإله يهود ! .

قال ابن أُنيس : يقول صاحبنا : فما سمعتُ من كلمة كانت ألذ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله ﷺ ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ،

---

(١) الوَثْءُ والوَثَاءَة : توجع في العظم من غير كسر ، وقيل : الفَكُّ ، أو شبه الفسخ في المفصل ، (لسان العرب ، جـ ١ ص ١٩٠) .

(٢) المَنْهَرُ : خرق في الحِصْنِ نافذةٌ يدخل فيه الماء ، (لسان العرب ، جـ ٥ ص ٢٣٧) .

(٣) فاظ : هلك .

وكُلّنا يدّعيه ، فقال رسول الله ﷺ : هاتوا أسيافكم ، فجئناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : هـذا قتلـه ، أرى فيـه أثر العظام .

قال حسان بن ثابت يـذكر قتل كعب بن الأشرف وسلاّم بن أبي الحُقَيْق :

لله دَرُّ عِصَـابَـةٍ لاقَيْتَهُمْ ... يابنَ الحُقَيْقِ وأنتَ يـابنَ الأشْرَفِ[1]

يَسْرُونَ بـالبيضِ الخفـافِ إليكُمُ ... بَطَراً كأُسْـدٍ في عرينٍ مُغْرف[2]

حتى أتـوكُمْ في محـلِّ بـلادكُمْ ... فسقـوكُمُ حتفـاً ببيضٍ ذُفَّف[3]

مستبصرينَ لنَصْر دينِ نَبيِّهِمْ ... مُسْتضعِفينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[4]

وقتـل كعب بن الأشرف ، وأبي رافـع سـلاّم بن أبي الحُقَيْـق رد طبيعي سليم ، لقول اليهود بعد بدر : « لم يلقَ محمدٌ من يحسن القتـال ، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لايشبهه قتال أحد ، يامحمـد .. إنـك ترى أنـا كقومك ؟! لايغرنّك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربتنا لتعلَمَنَّ أنا نحن الناس » .

---

(١) العصابة : الجماعة من الناس .

(٢) يسرون : يمشون ليلاً ، والبيض الرقاق : السيوف ، وبطراً : مرحاً ونشاطاً ، مُغرف : أي غريف ، وهو الأجمة من البردي والحَلْفاء والقصب .

(٣) ذفف : أي سريعة القتل .

(٤) وفي ديوان حسان : « مستصغرين لكل أمر » ، والأبيات هنا رواية الطبري ، جـ ٢ ص ٤٩٧ .

وبعد مقتل كعب (أصبح اليهود وليس منهم أحد إلا ويخاف على نفسه) ، فأنهى بذلك رسول الله ﷺ تعاليهم وفخارهم المصطنع ، وحربهم الإعلامية المغرورة المعلنة .

وفي مقتلهما رد طبيعي لنقضهم عهودهم مع رسول الله ﷺ .

ورد طبيعي لتشبيب كعب بنساء المسلمين .

ورد طبيعي على خروجه إلى مكة يبكي أصحاب القَلِيب ، وعلى تحريضه قريشاً ضد المسلمين .

ومقتل أبي رافع سلاّم بن أبي الحُقَيْق لم يكن تنافساً بين الأوس والخزرج ليس غير ، ولكن الخزرج قالوا : « مَنْ رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف !! » . هذه العداوة التي بدأها اليهود منذ وصول رسول الله ﷺ والمهاجرين إلى المدينة المنورة ، فبدأت عداوتهم بغياً وحسداً ، على الرغم من أنه ﷺ وادعهم وعاهدهم .

☆ ☆ ☆

وأخيراً ..

لقد بدأت حرب معلنة بين المسلمين وقريش ، وبين المسلمين واليهود .

ولن تنتهي هـذه الحرب إلا بعـد فتـح مكـة المكرمـة ، وانتهـاء الوثنيـة بتطهير البيت العتيـق من الأصنـام والأوثـان ، محققـة بـذلـك وحدة العرب وتماسكهم الكامل تحت راية التوحيـد المطلق .. وبـإجلاء اليهود عن الحجاز ، وبعدها من كل جزيرة العرب .

وهذه الحرب ، خطط لها رسول الله ﷺ بحكمة ورحمة وحنكـة .. محقِّقاً وحدة الأُمة العربية بأقل الخسائر في الأَنفس والأموال .

حرب .. حـــاول ﷺ دفعهـــا بشتى الصـــور .. وعلى الرغم من وقوعها ، كانت الخسائر قليلة إذا قورنت بمنجزاتها العظيمة .

مُلحَق

اهتم المؤرخون بأسماء الصحابة الذين اشتركوا في غزوة بدر الكبرى ، ومرد ذلك أهمية بدر في تاريخ الإسلام .

ومن مؤلفاتهم في هذا المجال ، الكتب والمخطوطات التالية :

١ ـ استنزال النصر بالتوسل بأهل بدر ، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عمر الطرابلسي ، دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق مخطوط رقم : ١٠٤١٢ ، طبع مع شرح بعنوان : شرح الصدر بشرح أرجوزة استنزال النصر بالتوسل بأهل بدر .

٢ ـ أسماء أهل بدر ، المؤلف غير معروف ، الظاهرية مخطوط رقم : ١٠٢١٦ ، و ٣٥٩٧ .

٣ ـ أسماء ساداتنا أصحاب أهل بدر ، المؤلف غير معروف ، الظاهرية مخطوط رقم : ٨٨٢٤ .

٤ ـ أسماء الصحابة البدريين ، فصل من كتاب دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ، للشيخ أبي عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجُزُولي السملاوي الحسني الشاذلي المتوفى سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م ، الظاهرية رقم : ٨٠٥٠ ، و ٤٧٦٩ .

٥ ـ شرح أسماء أهل بدر ، جمعها عبد اللطيف بن أحمد البقاعي

سنة ١١٦٤ هـ ، وشرحها طه بن محمد الجبريني الشهير بابن المُهَنَّا المتوفى سنة ١١٧٨ / ١٧٦٤ م . مخطوط الظاهرية رقم : ٥١٥١ .

٦ ـ الشافية من الأسقام في أسماء أهل بدر الكرام ، لحسين بن سليم بن سلامة الدجاني الحسيني ، الظاهرية رقم : ١١٣٧٠ .

٧ ـ طلعة البدر ، لزين الدين جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي ، الظاهرية رقم : ٨٩١٩ .

٨ ـ جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب ، رسالة في أسماء الصحابة البدريين والأُحديين ، مخطوط الظاهرية رقم : ٩٠٦٦ . وهو لزين الدين البرزنجي أيضاً ، طبع في مصر « مطبعة الموسوعات » على نفقة عبد الرحمن ومحمود الحجالي في زنجيبار ، ونسخة الظاهرية المطبوعة رقم : و ـ ١٨٢٧ .

وكتب التاريخ كالبداية والنهاية ، وكتب السيرة كابن هشام ذكرت أصحاب بدر بالاهتمام في فصول خاصة . وفي بحثنا هذا اعتمدنا (السيرة النبوية) لابن هشام لذكر :

- من حضر بدراً من المسلمين .
- من قتل ببدر من المشركين .
- من أسر ببدر من المشركين .
- من أسلم من أسرى المشركين ببدر .

مَن حَضَرَ بَدراً مِنَ المسلمين

☆ جـاء جبريـل إلى رسـول الله ﷺ فقـال : مـاتعدُّون أهـل بـدر فيكم ؟ فقـال : من أفضـل المسلمين ، فقال جبريل : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة .

محمد ﷺ قائداً نبياً ، وتحت قيادته :

أ - المهاجرون :

شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب لـه رسول الله ﷺ بسهمـه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلاً[1] :

١ - الحمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

٢ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب .

٣ - زيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب .

٤ - أَنَسة مولى رسول الله ﷺ .

٥ - أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ .

٦ - أبو مَرثد كناز بن حصن بن يربوع بن عمرو .

---

(١) مرجعنا هنا : السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٣٢ .

٧ ـ وابنه مرثد بن أبي مرثد .

٨ ـ عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

٩ ـ وأخواه الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب .

١٠ ـ والحصين بن الحارث بن عبد المطلب .

١١ ـ مسطح واسمه : عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب[١] .

١٢ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص[٢] .

١٣ ـ أبو حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس .

١٤ ـ سالم ، مولى أبي حذيفة ، واسم أبي حذيفة : مهشم .

١٥ ـ عبد الله بن جحش بن رئاب .

١٦ ـ عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس .

١٧ ـ شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد .

١٨ ـ وأخوه عقبة بن وهب بن ربيعة بن أسد .

١٩ ـ يزيد بن رقيش بن رئاب .

٢٠ ـ أبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس .

٢١ ـ وابنه سنان بن أبي سنان .

٢٢ ـ محرز بن نضلة بن عبد الله .

---

(١) وبذلك يكون من حضر بدراً اثني عشر رجلاً من بني هاشم بن عبد مناف وبني عبد المطلب بن عبد مناف ، بمن فيهم رسول الله ﷺ .

(٢) تخلّف على امرأته رقية ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه .

٢٣ ـ ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو .

٢٤ ـ ثَقف بن عمرو ، وأخواه :

٢٥ ـ مالك بن عمرو .

٢٦ ـ مدلج بن عمرو .

٢٧ ـ أبو مخشي حليف بني سالم . واسمه : « سويد بن مخشي » .

٢٨ ـ عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب .

٢٩ ـ خباب ، مولى عتبة بن غزوان .

٣٠ ـ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

٣١ ـ حاطب بن أبي بلتعة ، « واسم أبي بلتعة : عمرو » .

٣٢ ـ سعد مولى حاطب .

٣٣ ـ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .

٣٤ ـ سويبط بن سعد بن حريملة بن مالك .

٣٥ ـ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف .

٣٦ ـ سعد بن أبي وقاص ، « وأبو وقاص : مالك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة » .

٣٧ ـ وأخوه : عمير بن أبي وقاص .

٣٨ ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة .

٣٩ ـ عبد الله بن مسعود بن الحارث .

٤٠ ـ مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد .

٤١ ـ ذو الشمالين[١] : عُمير بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان .

٤٢ ـ خباب بن الأرت .

٤٣ ـ أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

٤٤ ـ بلال بن رباح ، مولى أبي بكر .

٤٥ ـ عامر بن فهيرة .

٤٦ ـ صهيب بن سنان الرومي .

٤٧ ـ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم[٢] .

٤٨ ـ أبو سلمة بن عبد الأسد ، « واسم أبي سلمة : عبد الله » .

٤٩ ـ شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد .

٥٠ ـ الأرقم بن أبي الأرقم ، « واسم أبي الأرقم : عبد مناف » .

٥١ ـ عمار بن ياسر .

٥٢ ـ معتب بن عوف بن عامر .

٥٣ ـ عمر بن الخطاب .

٥٤ ـ وأخوه : زيد بن الخطاب .

---

(١) قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر .

(٢) كان بالشام ، فقدم بعد أن رجع رسول الله ﷺ من بدر ، فكلّمه ، فضرب له بسهمه .

٥٥ ـ ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطاب .

٥٦ ـ عمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس .

٥٧ ـ وأخوه : عبد الله بن سراقة .

٥٨ ـ واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عمر بن ثعلبة .

٥٩ ـ خولي بن أبي خولي .

٦٠ ـ مالك بن أبي خولي .

٦١ ـ عامر بن ربيعة .

٦٢ ـ عامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيَرة .

٦٣ ـ عاقل بن البكير .

٦٤ ـ خالد بن البكير .

٦٥ ـ إياس بن البكير .

٦٦ ـ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

٦٧ ـ عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة .

٦٨ ـ السائب بن عثمان ، وأخواه :

٦٩ ـ قدامة بن مظعون .

٧٠ ـ عبد الله بن مظعون .

٧١ ـ معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح .

٧٢ ـ أبو سبرة بن أبي رهم .

٧٣ ـ عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن قيس .

٧٤ ـ عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس[١] .

٧٥ ـ عمير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو .

٧٦ ـ سعد بن خولة .

٧٧ ـ أبو عبيدة عامر بن الجراح .

٧٨ ـ عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة .

٧٩ ـ سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبي أُهيب .

٨٠ ـ صفوان بن وهب .

٨١ ـ عمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال .

٨٢ ـ ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، رجل واحد[٢] .

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلاً .



(١) خرج من مكة مع أبيه سهيل بن عمرو ، فلما نزل الناس ببدر فرَّ إلى رسول الله ﷺ ، فشهدها معه .

(٢) الرقم أعلاه (٨٢) ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم ورئيسهم وفخرهم : ٨٣ .

٢ - الأنصار :

أ - من الأوس : شهد بدراً من الأوس ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلاً :

١ - سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل .

٢ - عمرو بن معاذ بن النعمان .

٣ - الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان .

٤ - الحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس .

٥ - سعد بن زيد بن مالك بن عبيد .

٦ - سلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة .

٧ - عباد بن بشر بن وقش بن زغبة .

٨ - سلمة بن ثابت بن وقش .

٩ - رافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زُعورا .

١٠ - الحارث بن خزمة بن عدي بن أُبيّ بن غنم بن سالم بن عوف .

١١ - محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي .

١٢ - سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة .

١٣ - أبو الهيثم بن التيهان .

١٤ - عبيد بن التيهان .

١٥ ـ عبد الله بن سهل .
١٦ ـ قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد .
١٧ ـ عبيد بن أوس بن مالك بن سواد .
١٨ ـ نصر بن الحارث بن عبد .
١٩ ـ معتب بن عبد .
٢٠ ـ عبد الله بن طارق .
٢١ ـ مسعود بن سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة .
٢٢ ـ أبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة .
٢٣ ـ أبو بردة بن نيار ، واسمه : هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد .
٢٤ ـ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، (وأبو الأقلح : قيس بن عصمة ابن مالك) .
٢٥ ـ معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .
٢٦ ـ أبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .
٢٧ ـ عمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .
٢٨ ـ سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث .
٢٩ ـ مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أُمية .

٣٠ ـ رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر .

٣١ ـ سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أُمية .

٣٢ ـ عويم بن ساعدة .

٣٣ ـ رافع بن عنجدة ، (وعنجدة أُمه) .

٣٤ ـ عبيد بن أبي عبيد .

٣٥ ـ ثعلبة بن حاطب .

٣٦ ـ أبو لبابة ، بشير بن عبد المنذر[1] .

٣٧ ـ الحارث بن حاطب[2] .

٣٨ ـ أُنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد .

٣٩ ـ معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة .

٤٠ ـ ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان .

٤١ ـ عبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن العجلان .

٤٢ ـ زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان .

٤٣ ـ ربعي بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان .

٤٤ ـ عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان[3] .

(١ و ٢) خرجا مع رسول الله ﷺ ، ورجع أبو لبابة أميراً على المدينة ، وضرب لهما ﷺ بسهمين مع أصحاب بدر .

(٣) ردّه رسول الله ﷺ ، وكان قد استخلفه على قباء والعالية .

٤٥ ـ عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك .

٤٦ ـ عاصم بن قيس .

٤٧ ـ أبو ضَياح بن ثابت بن النعمان بن أُمية بن امرئ القيس .

٤٨ ـ أبو حنة ، أو أبو حبة أخو أبو ضَياح .

٤٩ ـ سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أُمية بن امرئ القيس .

٥٠ ـ الحارث بن النعمان بن أُمية بن امرئ القيس .

٥١ ـ خوات بن جُبير بن النعمان[(١)] .

٥٢ ـ منذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجلاح بن الحريش .

٥٣ ـ أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث .

٥٤ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب .

٥٥ ـ منذر بن قدامة بن عرفجة .

٥٦ ـ مالك بن قدامة بن عرفجة .

٥٧ ـ الحارث بن عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم .

٥٨ ـ تميم ، مولى بني غنم[(٢)] .

٥٩ ـ جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس .

---

(١) ضرب له رسول الله ﷺ بسهم مع أصحاب بدر .

(٢) ابن هشام : تميم مولى سعد بن خيثمة .

٦٠ ـ مالك بن نميلة .

٦١ ـ النعمان بن عصر .

ب ـ من الخزرج : وشهد بدراً من الخزرج مائة وسبعون رجلاً :

١ ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس .

٢ ـ سعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس .

٣ ـ عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس .

٤ ـ خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس .

٥ ـ بشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس[(١)] .

٦ ـ وأخوه : سماك بن سعد .

٧ ـ سُبيع بن قيس بن عَيشة بن أُمية بن مالك بن عامر بن عدي .

٨ ـ وأخوه : عُباد بن قيس بن عيشة .

٩ ـ عبد الله بن عَبس .

١٠ ـ يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، (ابن فُسحم) .

١١ ـ خبيب بن إساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم .

---

(١) عند ابن هشام : جُلاس .

١٢ ـ عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد .

١٣ ـ وأخوه : حريث بن زيد بن ثعلبة .

١٤ ـ سفيان بن بشر[1] .

١٥ ـ تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أُمية بن جدارة .

١٦ ـ عبد الله بن عمير ، (من بني حارثة) .

١٧ ـ زيد بن المزيَّن بن قيس بن عدي بن أُمية بن جدارة .

١٨ ـ عبد الله بن عرفطة بن عدي بن أمية بن جدارة .

١٩ ـ عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبجر .

٢٠ ـ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد ، (المشهور بابن سلول) .

٢١ ـ أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد .

٢٢ ـ زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس .

٢٣ ـ عقبة بن وهب بن كلدة .

٢٤ ـ رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم .

٢٥ ـ عامر بن سلمة بن عامر .

٢٦ ـ أبو حميضة مَعبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم .

---

(١) ابن هشام : سفيان بن نَسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

٢٧ ـ عامر بن البكير[١] .

٢٨ ـ نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان .

٢٩ ـ عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم .

٣٠ ـ وأخوه : أوس بن الصامت .

٣١ ـ النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد .

٣٢ ـ ثابت بن هزّال بن عمرو بن قريوش .

٣٣ ـ مالك بن الدخشم بن مرضخة .

٣٤ ـ ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان .

٣٥ ـ وأخوه : ورقة بن إياس .

٣٦ ـ وأخوه : عمرو بن إياس .

٣٧ ـ المُجَذَّر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك .

٣٨ ـ عبادة بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة .

٣٩ ـ نحاب بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة .

٤٠ ـ عبد الله بن ثعلبة بن حزمة بن أصرم .

٤١ ـ عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية .

٤٢ ـ أبو دجانة سماك بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة .

---

(١) ابن هشام : عامر بن العُكير ، ويقال : عاصم بن العكير .

٤٣ ـ المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود .
٤٤ ـ أبو أُسيد مالك بن ربيعة بن البدي .
٤٥ ـ مالك بن مسعود بن البدي .
٤٦ ـ عبد ربه بن حَق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف .
٤٧ ـ كعب بن حِمار بن ثعلبة[١] .
٤٨ ـ ضمرة بن عمرو الجهني ، وأخوه :
٤٩ ـ زياد بن عمرو الجهني ، وأخوه :
٥٠ ـ بَسبس بن عمرو الجهني .
٥١ ـ عبد الله بن عامر البلوي .
٥٢ ـ خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .
٥٣ ـ الحُباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام .
٥٤ ـ عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام .
٥٥ ـ تميم مولى خراش بن الصمة .
٥٦ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام .
٥٧ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح ، وأخوه :
٥٨ ـ معوذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأخوه :

---

(١) ابن هشام : كعب بن جماز ، (وهو من غبشان) .

٥٩ ـ خلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

٦٠ ـ عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

٦١ ـ حبيب بن أسود ، (مولى لأبناء عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام) .

٦٢ ـ ثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام .

٦٣ ـ بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خنساء .

٦٤ ـ الطفيل بن مالك بن خنساء .

٦٥ ـ الطفيل بن النعمان بن خنساء .

٦٦ ـ سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء .

٦٧ ـ عبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء .

٦٨ ـ عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء .

٦٩ ـ جبار بن صخر بن أمية بن خنساء .

٧٠ ـ خارجة بن حُميِّر الأشجعي ، وأخوه :

٧١ ـ عبد الله بن حُميِّر الأشجعي .

٧٢ ـ يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس ، وأخوه :

٧٣ ـ معقل بن المنذر بن سرح بن خناس .

٧٤ ـ عبد الله بن النعمان بن بلدُمَة ، (أو بلذُمة) .

٧٥ ـ الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي .

٧٦ - سواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدي[١] .
٧٧ - معبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن غنم .
٧٨ - عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن غنم .
٧٩ - عبد الله بن عبد مناف بن النعمان .
٨٠ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان .
٨١ - خُليدة بن قيس بن النعمان .
٨٢ - النعمان بن سنان .
٨٣ - أبو المنذر ، يزيد بن عامر بن حديدة .
٨٤ - سليم بن عمرو بن حديدة .
٨٥ - قطبة بن عامر بن حديدة .
٨٦ - عنترة مولى سليم بن عمرو بن حديدة .
٨٧ - عبس بن عامر بن عدي .
٨٨ - ثعلبة بن غنمة بن عدي .
٨٩ - أبو اليسر ، كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد .
٩٠ - سهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد .
٩١ - عمرو بن طلق بن زيد بن أُمية بن سنان بن كعب بن غنم .

---

(١) ابن هشام : سواد بن رِزن بن زيد بن ثعلبة .

٩٢ ـ معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي .
٩٣ ـ قيس بن محصن بن خالد بن مُخَلَّد .
٩٤ ـ أبو خالد ، الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد .
٩٥ ـ جبير بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد .
٩٦ ـ أبو عبادة ، سعد بن عثمان بن خلدة بن مُخَلَّد ، وأخوه :
٩٧ ـ عقبة بن عثمان بن خلدة بن مُخَلَّد .
٩٨ ـ ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مُخَلَّد .
٩٩ ـ مسعود بن خلدة بن عامر بن مُخَلَّد .
١٠٠ ـ عباد بن قيس بن عامر بن خالد .
١٠١ ـ أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة .
١٠٢ ـ الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .
١٠٣ ـ معاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وأخوه :
١٠٤ ـ عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة .
١٠٥ ـ مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة .
١٠٦ ـ رفاعة بن رافع بن العجلان ، وأخوه :
١٠٧ ـ خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان .
١٠٨ ـ عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان .
١٠٩ ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أميَّة .

١١٠ ـ فروة بن عمرو بن وذْفة بن عبيد بن عامر بن بياضة .
١١١ ـ خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة .
١١٢ ـ رجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة .
١١٣ ـ عطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن بياضة .
١١٤ ـ خليفة بن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة .
١١٥ ـ رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي .
١١٦ ـ أبو أيوب الأنصاري ، خالد بن يزيد بن كليب بن ثعلبة .
١١٧ ـ ثابت بن خالد بن النعمان .
١١٨ ـ عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو .
١١٩ ـ سراقة بن كعب بن عبد العزّى بن غزية بن عمرو .
١٢٠ ـ حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد .
١٢١ ـ سليم بن قيس قهد ، (واسم قهد : خالد بن قيس بن عبيد) .
١٢٢ ـ سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ .
١٢٣ ـ عدي بن الزغباء (من جهينة) .
١٢٤ ـ مسعود بن أوس بن زيد .
١٢٥ ـ أبو خزيمة بن أوس بن زيد .
١٢٦ ـ رافع بن الحارث بن سواد بن زيد .

١٢٧ ـ عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد ، وأخواه :
١٢٨ ـ معوذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد .
١٢٩ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد .
١٣٠ ـ النعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد .
١٣١ ـ عامر بن مخلد بن الحارث بن سواد .
١٣٢ ـ عبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد .
١٣٣ ـ عُصيمة مولى بني سواد ، وهو من أشجع .
١٣٤ ـ وديعة بن عمرو الجهني .
١٣٥ ـ ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد .
١٣٦ ـ أبو الحمراء ، مولى الحارث بن عفراء .
١٣٧ ـ ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك .
١٣٨ ـ سهل بن عتيك بن عمرو بن النعمان بن عتيك .
١٣٩ ـ الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك[1] .
١٤٠ ـ أُبيّ بن كعب بن قيس .
١٤١ ـ أنس بن معاذ بن أنس بن قيس .
١٤٢ ـ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي .

---

(١) كُسِرَ بالروحاء فضرب له رسول الله ﷺ .

١٤٣ ـ أبو شيخ أُبيّ بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ابن عدي[1] .

١٤٤ ـ أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي .

١٤٥ ـ حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر .

١٤٦ ـ عمر بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر .

١٤٧ ـ سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدي بن عامر .

١٤٨ ـ أبو سليط أُسيرة بن عمرو .

١٤٩ ـ أبو خارجة عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر .

١٥٠ ـ ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر .

١٥١ ـ عامر بن أُمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدي بن عامر .

١٥٢ ـ محرز بن عامر بن مالك بن عدي بن عامر .

١٥٣ ـ سواد بن غزية بن أُهيب البلوي .

١٥٤ ـ أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زعوراء بن حرام .

١٥٥ ـ أبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام .

---

(١) أخو حسان بن ثابت .

١٥٦ ـ سُلَيم بن ملحان .

١٥٧ ـ حرام بن ملحان ، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام .

١٥٨ ـ قيس بن أبي صعصعة[١] .

١٥٩ ـ عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف .

١٦٠ ـ عصيمة حليف بني مازن بن النجار .

١٦١ ـ أبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء .

١٦٢ ـ سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

١٦٣ ـ قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة .

١٦٤ ـ النعمان بن عبد عمرو بن مسعود .

١٦٥ ـ الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود .

١٦٦ ـ سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار[٢] .

١٦٧ ـ جابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة .

١٦٨ ـ سعد بن سهيل بن عبد الأشهل .

١٦٩ ـ كعب بن زيد بن قيس .

١٧٠ ـ بُجير بن أبي بجير .

---

(١) واسم أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف .

(٢) وهو أخو الضحاك والنعمان إبني عبد عمرو لأمهما .

قـال ابن إسحـاق : فجميـع من شهـد بـدراً من المسلمين ، من لمهاجرين والأنصار ، من شهدها منهم ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمـائـة رجـل وأربعـة عشر رجـلاً - بمن فيهم رسـول الله ﷺ - ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً .



مَن قُتل ببدرٍ من المشركين

☆ « يـــا أهــل القَلِيب ، يا عتبـة بن ربيعـة ، ويا شيبـة بن ربيعة ، ويا أُمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ... هل وجدتم مـا وعـد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت مـا وعـدني ربي حقاً » .

رسول الله ﷺ

١ ـ حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أُمية بن عبد شمس .

٢ ـ الحارث بن الحضرمي ، (واسم الحضرمي : عبد الله بن عبَّاد) .

٣ ـ عامر بن الحضرمي .

٤ ـ عُمَير بن أبي عمير .

٥ وابن عُمير بن أبي عمير .

٦ ـ عبيدة بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس .

٧ ـ العاص بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبد شمس .

٨ ـ عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس .

٩ ـ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

١٠ ـ شيبة بن ربيعة بن عبد شمس .

١١ ـ الوليد بن عتبة بن ربيعة .

١٢ ـ عامر بن عبد الله ، (من بني أنمار بن بغيض) .

١٣ ـ الحارث بن عامر بن نوفل .

١٤ ـ طُعيمة بن عدي بن نوفل .

١٥ ـ زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .

١٦ ـ الحارث بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد .

١٧ ـ عقيل بنَ الأسود بن المطلب .

١٨ ـ أبو البُخْتري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

١٩ ـ نوفل بن خويلد بن أسد .

٢٠ ـ النضر بن الحارث بن كَلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

٢١ ـ زيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف .

٢٢ ـ عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم .

٢٣ ـ عثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب .

٢٤ ـ أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢٥ ـ العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢٦ ـ يزيد بن عبد الله حليف بني مخزوم .

٢٧ ـ أبو مسافع الأشعري حليف بني مخزوم .

٢٨ ـ حرملة بن عمرو حليف بني مخزوم .

٢٩ ـ مسعود بن أبي أمية بن المغيرة .

٣٠ ـ أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة .

٣١ ـ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

٣٢ ـ رفاعة بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣٣ ـ المنذر بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣٤ ـ عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣٥ ـ السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣٦ ـ الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٣٧ ـ حاجب بن السائب بن عويمر بن عمر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

٣٨ ـ عويمر بن السائب بن عويمر .

٣٩ ـ عمرو بن سفيان حليف بني مخزوم .

٤٠ ـ جابر بن سفيان حليف بني مخزوم .

٤١ ـ منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم .

٤٢ ـ العاص بن منبه بن الحجاج .

٤٣ ـ نُبيه بن الحجاج بن عامر .

٤٤ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

٤٥ ـ عاصم بن عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سهم .

٤٦ ـ أُمية بن خلف بن وهب بن جمح .

٤٧ ـ علي بن أُمية بن خلف بن وهب بن جمح .

٤٨ ـ أوس بن مِعير بن لوذان بن سعد بن جمح .

٤٩ ـ معاوية بن عامر حليف بني عامر بن لؤي .

٥٠ ـ معبد بن وهب حليف بني عامر بن لؤي .

قال ابن هشام : فجميع من أُحصي لنا من قتلى قريش يوم بدر ، خمسون رجلاً . وقال : حدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو : أَن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلاً ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وفي كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ يقول لأصحاب أُحد ـ وكان من استشهد منهم سبعين رجلاً ـ يقول : قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أُحد ، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً ، وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

فأَقام بالعَطن المعطن منهم سبعون ، عتبة منهم والأسود

يعني قتلى بدر ، وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أُحد .

وقال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى :

٥١ ـ وهب بن الحارث ، (من بني أنمار بن بغيض) .

٥٢ ـ عامر بن زيد ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف .

٥٣ ـ عقبة بن زيد ، حليف بني أسد بن عبد العُزَّى .

٥٤ ـ عُمير مولى بني أسد بن عبد العُزّى .

٥٥ ـ نبيه بن زيد بن مليص حليف بني عبد الدار بن قصي .

٥٦ ـ عبيد بن سليط حليف بني عبد الدار بن قصي .

٥٧ ـ مالك بن عبيد الله بن عثمان التيمي[(١)] .

٥٨ ـ عمرو بن عبد الله بن جُدعان .

٥٩ ـ حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة .

٦٠ ـ هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة .

٦١ ـ زهير بن أبي رفاعة .

٦٢ ـ السائب بن أبي رفاعة .

٦٣ ـ عائذ بن السائب بن عُويمر[(٢)] .

---

(١) أسر فمات في الأسرى ، فعد في القتلى .

(٢) أُسر ثم افتدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب .

٦٤ ـ عمير الطائي حليف بني مخزوم بن يقظة .

٦٥ ـ خيار حليف بني مخزوم بن يقظة (من القارة) .

٦٦ ـ سبرة بن مالك حليف بني جمح بن عمرو .

٦٧ ـ الحارث بن منبه بن الحجاج .

٦٨ ـ عامر بن عوف بن ضبيرة .

هذا ما حُفِظَ لنا من قتلى بدر ، ذكر منهم ابن إسحاق خمسين رجلاً ، وأضاف ابن هشام ثمانية عشر رجلاً آخر[1] .

☆ ☆ ☆

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٥٦ .

مَن أُسِرَ ببدرٍ من المشركين

« استوصوا بالأسرى خَيْراً »

رسول الله ﷺ

وأُسِرَ من المشركين من قريش يوم بدر[1] :

١ ـ عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

٢ ـ نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

٣ ـ السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب .

٤ ـ نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب .

٥ ـ عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أُمية بن عبد شمس .

٦ ـ الحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس .

٧ ـ أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس .

٨ ـ أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

٩ ـ أبو ريشة بن أبي عمرو .

١٠ ـ عمرو بن الأزرق .

١١ ـ عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٢ ص ٢٥٧ .

١٢ ـ عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل .

١٣ ـ عثمان بن عبد شمس ، من بني مازن بن منصور .

١٤ ـ أبو ثور حليف بني نوفل بن عبد مناف .

١٥ ـ أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

١٦ ـ الأسود بن عامر حليف بني عبد الدار بن قصي .

١٧ ـ السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد .

١٨ ـ الحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد .

١٩ ـ سالم بن شماخ ، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي .

٢٠ ـ خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢١ ـ أُمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي .

٢٢ ـ الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي .

٢٣ ـ عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي .

٢٤ ـ صيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢٥ ـ أبو المنذر بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢٦ ـ أبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٢٧ ـ المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم .

٢٨ ـ خالد بن الأعلم حليف بني مخزوم ، وهو أَوَّل من ولّى فارّاً منهزماً ، وهو الذي قال :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا[1] ولكن على أقدامنا يقطر الدم[2]

٢٩ ـ أبو وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم[3] .

٣٠ ـ فروة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعد بن سهم .

٣١ ـ حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم .

٣٢ ـ الحجاج بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

٣٣ ـ عبد الله بن أُبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

٣٤ ـ أبو عزّة عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب بن حذافة بن جمح .

٣٥ ـ الفاكه[4] مولى أُمية بن خلف .

٣٦ ـ وهب بن عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح .

٣٧ ـ ربيعة بن دراج بن العنبس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح .

٣٨ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر .

٣٩ ـ عبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود .

٤٠ ـ عبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود .

---

(١) الكلوم : الجراحات .

(٢) ويروى : « لسنا على الأعقاب » .

(٣) كان أول أسير افتدي من أسرى بدر ، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة .

(٤) ويقال اسمه : الفاكه بن جرول بن حَذْيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر .

٤١ ـ الطفيل بن أبي قُنيع من بني الحارث بن فهر .

٤٢ ـ عتبة بن عمرو بن جَحدم من بني الحارث بن فهر .

قال ابن إسحاق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلاً :

وقال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه[1] ، وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

٤٣ ـ عتبة حليف بني هاشم بن عبد مناف .

٤٤ ـ عقيل بن عمرو حليف بني عبد المطلب بن عبد مناف ، وأخوه :

٤٥ ـ تميم بن عمرو حليف بني عبد المطلب بن عبد مناف .

٤٦ ـ وابن تميم بن عمرو .

٤٧ ـ خالد بن أُسيد بن أبي العيص .

٤٨ ـ أبو العريض يسار مولى العاص بن أُميَّة .

٤٩ ـ نبهان مولى بني نوفل بن عبد مناف .

٥٠ ـ ورجل من بني أسد بن عبد العزى اسمه : عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث .

٥١ ـ ومن بني عبد الدار بن قصي : عقيل ، حليف لهم من اليمن .

٥٢ ـ مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٢ ص ٣٥٨ .

٥٣ ـ جابر بن الزبير حليف بني تميم بن مرة .

٥٤ ـ قيس بن السائب المخزومي .

٥٥ ـ عمرو بن أُبيّ بن خلف .

٥٦ ـ أبو رهم بن عبد الله ، حليف بني جمح بن عمرو .

٥٧ ـ وحليف لبني جمح بن عمرو ، (ذهب عني اسمه) كما يقول ابن هشام .

٥٨ ـ نِسطاس مولى أُمية بن خلف .

٥٩ ـ أبو رافع مولى أُمية بن خلف .

٦٠ ـ ومولى آخر لأُمية بن خلف ، غاب اسمه عن ابن هشام .

٦١ ـ أسلم مولى نبيه بن الحجاج .

٦٢ ـ حبيب بن جابر من بني عامر بن لؤي .

٦٣ ـ السائب بن مالك من بني عامر بن لؤي .

٦٤ ـ ومن بني الحارث بن فهر : شافع .

٦٥ ـ وشفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن .

☆ ☆ ☆

مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَسْرى المشركين بِبَدْرٍ

☆ « كأني أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين » .

رسول الله ﷺ

لم يسمِّ ابن إسحاق ، ولاابن هشام مَنْ أسلم منهم ، ونورد هنا من أسلم من أسرى بدر كما جاء في (الرَّوض الأُنُف)[1] ، بعد حذف اسم العباس عم رسول الله ﷺ ، لإسلامه قبل بدر كما أشرنا خلال الكتاب :

١ ـ عقيل بن أبي طالب ، أسلم عام الحديبية ، وكان أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أسن من عليّ بعشر سنين .

٢ ـ نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، قيل : أسلم عام الخندق وهاجر . وقيل : بل أسلم حين أُسر ، وذلك أن النبي ﷺ قال له : افدِ نفسك ، قال : ليس لي مال أفتدي به ، قال : افدِ نفسك بأرماحك التي بجدّة ، قال : والله ماعلِم أحد أن لي بجدّة أرماحاً غير الله ، أشهد أنك رسول الله . وهو ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين وأعان رسول الله ﷺ عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح ، فقال له النبي

---

(١) الرَّوض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، جـ ٣ ص ١٢٧ . ولم يذكر الكتاب : قَبَاث بن أشيم الذي أسلم بعد الخندق فحسن إسلامه .

ﷺ : كأني أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين . مات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

٣ ـ أبو العاص بن الربيع صهر رسول الله ﷺ . وقصة إسلامه مرت خلال الكتاب .

٤ ـ أبو عزيز بن عمير العبدري .

٥ ـ السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، قال فيه عمر : « ذاك رجل لاأعلم فيه عيباً ، وماأحد إلا وأنا أَقدر أن أعيبه بعد رسول الله ﷺ » . وقيل : إن هذه المقالة قالها عمر في ابنه عبد الله بن السائب .

٦ ـ خالد بن هشام ، ذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم .

٧ ـ عبد الله بن السائب : وقد تقدم قول عمر فيه أو في أبيه ، وعنه أخذ أهل مكة القراءة ، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة .

٨ ـ المطلب بن حنطب بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

٩ ـ أبو وداعة الحارث بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم .

١٠ ـ وابنه المطلب بن أبي وداعة ، أسلما يوم فتح مكة .

١١ ـ عبد الله بن أُبي بن خلف الجمحي ، أسلم يوم الفتح ، وقتل يوم الجمل .

١٢ ـ وهب بن عمير الجمحي ، أسلم بعد أن جاء أبو عمير في فدائه ، فأسلما جميعاً .

١٣ ـ سهيل بن عمرو ، أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قريش .

١٤ ـ عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة .

١٥ ـ قيس بن السائب المخزومي ، وإليه كان ولاء مجاهد بن جبير القارئ ، وكان مجاهد يقول : في مولاي قيس بن السائب أنزل الله سبحانه : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ ، فأفطر وأطعم كل يوم مسكيناً .

١٦ ـ نسطاس مولى أُمية بن خلف ، أسلم بعد أُحد .



المحتوى

☆ ☆ ☆

الصُّوَر :

☆ ☆ ☆

للمؤلف

١ ـ الإسلام في قفص الاتهام	الطبعة الخامسة
٢ ـ مَنْ ضيَّع القرآن ؟	الطبعة الثانية
٣ ـ الإنسان بين العلم والدين	الطبعة الثالثة
٤ ـ هارون الرشيد	الطبعة الثالثة
٥ ـ غريزة .. أم تقدير إلهي ؟	الطبعة الرابعة
٦ ـ آراء يهدمها الإسلام	الطبعة الثالثة
٧ ـ الإسلام وحركات التحرر العربية	الطبعة الثانية
٨ ـ عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي	الطبعة الثانية
٩ ـ الهجرة « حدث غيَّر مجرى التاريخ »	الطبعة الثانية
١٠ ـ جرجي زيدان في الميزان	الطبعة الثانية



سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام »

١ ـ القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص
٢ ـ اليرموك بقيادة خالد بن الوليد
٣ ـ نهاوند بقيادة النعمان بن مقرّن المزني
٤ ـ ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٥ ـ فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد
٦ ـ بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي
٧ ـ فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات
٨ ـ الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين
٩ ـ الأرك بقيادة المنصور يعقوب الموحّدي
١٠ ـ العقاب بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحّدي
١١ ـ مصرع غرناطة « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر »

☆ ☆ ☆